الفصل الثالث

مظاهر تقدم العلوم الإنسانية فى مدينة غزة

أولًا: العلوم اللغوية والأدبية

أ. العلوم اللغوية (النحو و البلاغة)

ب. الأدب (النثر و الشعر)

النثر

(١) الرسائل " الديوانية و الإخوانية "

(٢) المقامات

(٣) الوصايا و النصائح

(٤) الخطابة

الشعر

١) شعر القصور " شعرالمديح ")

٢) شعر الملاحم)

٣) الشعر القصصي "الحكايات")

٤) شعر الغزل)

٥) شعر الحكم و المواعظ " الشعر التعليمي ")

ثانيًا : علم التاريخ

ثالثًا : علم الجغرافية

رابعًا: علم الفلسفة

مظاهر تقدم العلوم الإنسانية[١] فى مدينة "غزنة"

إن الإسلام كما يحض على تعلم علوم الشريعة يحض على تعلم علوم الحياة الأخرى، ويجعل من واجب المسلم أن يكون قويًا وصحيحًا وقائدًا لغيره من الأمم والشعوب فى كل العلوم والفنون.لذلك شهدت مدينة غزنة خلال العصر الغزنوى ازدهارًا عظيمًا فى العلوم الإنسانية لم تعرف له مثيلًا من قبل. فازدهر الشعر والنثر،ونمت علوم اللغة وفنونها، ونهض التاريخ والجغرافيا، فكانت مآثر علماء غزنة فى العلوم الإنسانية وغيرها من العلوم برهانًا عمليًا على أن الازدياد فى العلم لا يقتصر على علوم الشريعة، وإنما يجب أن يوجد فى كل مجال وهذا مصداق أمر الله عز وجل لنبيه وللمسلمين﴿ وَقُل رَّبِ زِدنِي عِلمًا﴾ [٢].

---

[١].العلوم الإنسانية:هى تلك العلوم التى تدرس الإنسان فى مجتمعه من مختلف نواحيه، وموضوعها يصدر عن الإنسان من أفعال وتقصى حوافز الفعل ومعقباته، ويطلق هذا المصطلح عادة على مجموعة من العلوم عمادها التاريخ والجغرافية.محمود أبو السعود:المنهجية للعلوم السلوكية الإسلامية، بحوث ومناقشات المؤتمر العالمى الرابع للفكر الإسلامى بعنوان (المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية)، الجزء الثانى، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٩٩٢م، ص٤٣.

[٢].طه: (١١٤)

أولًا: العلوم اللغوية والأدبية

أ. العلوم اللغوية [١] (النحو والبلاغة)

كان اهتمام المسلمين بتفسير القرآن الكريم دافعًا لهم بأن يهتموا اهتمامًا بالغًا بعلوم اللغة، فكان الأئمة من الصحابة ومن تلاهم من التابعين يحضون على تعلم العربية ورعاية معانيها، إذ هى من الدين بالمكان المعلوم، فبها أنزل الله كتابه المهيمن على سائر كتبه، وبها بلَّغ رسوله صلى الله عليه وسلم وظائف طاعته وشرائع أمره ونهيه [٢].

فاللغة هى القالب الذى تفرغ فيه الأمة أفكارها ومفاهيمها وثقافتها ومعتقداتها، وبعبارة أخرى هى المرآة التى تعكس فى جرس ألفاظها ونغمات تعابيرها وطريقة أدائها خصائص المتكلمين بها، وصفاتهم وملامح شخصيتهم ومعالم تفكيرهم وسمات طبائعهم وعاداتهم [٣].

لم تكن للدولة الغزنوية لغة واحدة، فقد كانت التركية لغة التخاطب بين طائفة الحكام والجند الأتراك باعتبارها لغتهم الأصلية، لكنها لم تكن لغة أدب وثقافة، وكانت الفارسية

---

[١]. *اللغة نظام من الرموز الصوتية، ** واللغة في الاصطلاح علم يعرف به أوضاع الكلمة العربية من حيث تأليف حروفها واشتقاقها ودلالتها علي معناها، وهل هى مشتركة بين عدة معان أو مختصة بمعنى واحد لا تدل علي غيره، وفائدتها معرفة وجوه الكلام العربى ومراتب فصاحته نثرًا ونظمًا، مما يعين على فهم كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ***وقد عرفها "ابن حجة الحموى" بقوله: "إن علم اللغة هو البحث عن المعني الذي وضع له اللفظ.*محمود فهمي حجازي: المدخل إلي علم اللغة، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٦م، ص١١.**أبو بكر الجزائرى: العلم والعلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص٧٢.***ابن حجة الحموى: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج١، ط٢، بيروت، ١٩٩١م، ص٢٣.

[٢]. الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص١٢.

[٣]. السيد محمد صديق القنوجى: البلغة فى أصول اللغة، تحقيق نذير محمد مكتبى، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٨م، ص٥.

لغة الحياة اليومية فى معظم مناطق الدولة، أما اللغة العربية فقد كانت لغة العلم والثقافة والأدب الرفيع فى ذلك العصر، فعلى امتداد الدولة الإسلامية كان كل من أراد أن يكتب علمًا تقرأه الناس لجأ إلى اللغة العربية فكتب وألف بها، وكل من أراد أن يلم بثقافة ذلك العصر يجب أن يتعلم اللغة العربية. وقد فعل ذلك كثيرون من غير الناطقين بها[١]*، واضطرت اللغات الأخرى إلى أن ينطوى بعضها على نفسه، وأن ينضوى بعضها تحت لواء اللغة العربية، فظلت اللغة العربية بعلومها وفنونها هى طابع ذلك العصر.

لذلك نجد أن الشعراء والكُتَّاب والعلماء فى تلك الفترة كانوا أكثر ارتباطًا باللغة العربية وآدابها من ذى قبل، واختاروها لغة التأليف لهم بجانب اللغة الفارسية التى كانت تسير معها جنبًا إلى جنب [٢].فكانت لغة العلوم الدينية والعلمية والتدوين والترجمة، فهى لغة القرآن والأحاديث[٣].

---

[١]. براون: تاريخ الأدب في إيران، ص١٢٠. محمد الرفاعي: الخلافة العباسية، ص٢٢. مصطفى الشكعة: الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية (كتاب النثر)، ط٣، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م، ص٧٠٨.

Frye : The Heritage of Persia , London ,١٩٦٢,p٢٥١.

*من الوسائل الهامة للنهوض بالعلوم هو تدوين العلوم المختلفة وخاصة التطبيقية باللغة العربية، بحيث تصبح لغتنا غنية بمؤلفاتها فيها، حيث أن الحاجة ماسة إلى كتب عربية فى كل فرع من فروع العلم، ففى حين أن كل لغة من اللغات الحية غنية بكتبها ومؤلفاتها العلمية نجد أن لغتنا العربية تتميز بفقرها المدقع فى المؤلفات العلمية. فمن المؤكد أنه إذا لم تنقل هذه العلوم إلى لغتنا بقينا عالة على غيرنا من الأمم، ليس عالة فى الكشف والإنتاج فقط ولكن عالة فى التلقى والتطوير، وتبقى دائرة العلم محصورة فى النفر القليل الذين يستطيعون قراءة الكتب الأجنبية العلمية وفهمها.إن نقل هذه العلوم إلى لغتنا يعيد إليها وإلى أمتنا مجدها العلمى، فالواقع الآن أن العناية الكبرى توجه إلى ترجمة الكتب فى الآداب الغربية والذى يطغى على تراثنا الأدبى الذى نعتز به، فالأولى أن توجه الهمم وتصرف الجهود إلى الجوانب العلمية التى نفتقدها ونفتقر إليها.

[٢]. قاسم غنى: تاريخ التصوف في الإسلام، ص٦٨١.

[٣]. ذبيح الله صفا: تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنكى إيران، ص١٥٣.

Georg Sarton: The History of Science,pp٨٨,٨٩.

وخير دليل على ذلك مدح "البيروني" للغة العربية بحسن أدائها للمعانى لذلك فضلها علي الفارسية، فيقول في ذلك "إن كل أمة تستحلى لغتها التى ألفتها واعتادتها واستعملتها في مآربها... وأنا نفسى قد طبعت على لغة(الخوارزمية) لو خلد بها علم لاستغرب استغراب البعير على الميزاب، والزرافة في الأكواب ثم انتقلت إلي العربية والفارسية وأنا في كل واحدة دخيل ولا متكلف والهجو بالعربية أحب إلى من المدح بالفارسية"[١].

والبيرونى هنا لا يعتمد علي الجانب الديني لتبرير تمسكه باللغة العربية، بل هو يبرز الجانب الجمالى في اللغة العربية ويظهر محاسنها مشيرًا إلى مرونتها وما أظهرته من مقدرة على استيعاب المفاهيم العلمية عند نقلها من كتب الأقدمين، ويكفى أن نتصفح مؤلفاته لنتأكد من سعة اطلاعه على أسرار اللغة العربية وإلمامه بأخبار العرب وأمثالهم وأشعارهم[٢].ونجد بعض الكتاب الفرس ينصحون باستعمال الكلمات العربية فى ثنايا اللغة الفارسية[٣]، ومن هؤلاء"عنصر المعالى كيكاوس بن اسكندر بن قابوس بن وشماگير"(ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م) صاحب كتاب "قابوسنامة"والذي يقول لابنه كيلانشاه "يجب أن تمتزج الكتابة بشئ من العربية، فإن الفارسية الخالصة كريهة معيبة"[٤].

كل ذلك دفع سلاطين الدولة الغزنوية إلى المزيد من العناية باللغة العربية وآدابها، والدليل على ذلك أن ديوان الرسائل كان يحرر باللغة الفارسية فى بادئ الأمر فى عهد الوزير "أبى العباس فضل بن أحمد الإسفراييني"[٥]حيث كان يؤثر اللغة الفارسية علي اللغة

Eva Jeremias: Rabita in the Classical Persian Literary Tradition,The Impact of Arabic Logicon Persian, Jerusalem Studies in Arabic and Islam, The Institute of Asian and African Studies , vol.٢٧,٢٠٠٢, p٥٥١.

[١].البيرونى:الصيدنة، ص١٢.

[٢].محمد سويسى: أدب العلماء فى نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجرى، ص٨٣: ٨٦.

[٣]- Frye: The Golden Age of Persia,p٢٣٢.

[٤].عنصر المعالى: قابوسنامة، ص١٤.

[٥]. الإسفراييني: هو أبو العباس الفضل بن أحمد" من كبار رجال الدولة الغزنوية، كان أديب وشاعر، وهوأول من تولي الوزارة للسلطان" محمود"، وفي أول أمره كان من كتاب "أبى الحسن فائق بن عبد الله

العربية حتى كسدت سوق البيان وبارت بضاعة الإجادة والإحسان كما قال "العتبى"[١] ثم صار يحرر باللغة العربية في عهد الوزير "أحمد بن الحسن الميمندى". معنى ذلك أن اللغة العربية قد سادت لأنها لغة القرآن ولغة الدين والإدارة[٢].

وإذا كان السلطان "محمود" قد أمر بإلغاء اللغة الفارسية من الديوان وإحلال العربية محلها[٣]، فإن اللغة الفارسية بقيت هى لغة الشعر والأدب[٤]. إذا خطا الأدب الفارسى في ذلك العصر خطوة كبيرة نحو التقدم والرقى، وإذا كان السامانيون قد وضعوا الدعامة الوطيدة لإقامة صرح هذا الأدب فإن السلطان "محمود" قد تابع هؤلاء ونجح في تشييد هذا الصرح كما يبدو من تلك الآثار الخالدة التى تركها شعراء ذلك العصر[٥].

المعروف بفائق الخالص(ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م)ثم أصبح بعد ذلك صاحب بريد "مرو"، وحين تغلب"سبكتكين"سنة(٣٨٤هـ/٩٩٤م) على "أبي على سيمجور" و"فائق" اللذان تمردا بخراسان، طلب "محمود"من الأمير "نوح الساماني" أبا العباس الفضل"ليعمل في الوزارة وبقي وزيرًا"لمحمود"من سنة(٣٨٤هـ/٩٩٤م)حتى سنة(٤٠١هـ /١٠١٠م)، وفي هذه السنة عقب الخلاف الذي وقع بينه وبين"محمود" بسبب قلة الخراج، وحاجة السلطان الملحة إلي المال، ذهب إلى قلعة "غزنة"، وكتب له رسالة سمي نفسه فيها بالمحبوس فانتهز "محمود" الفرصة وصادر أمواله، وظل في تلك القلعة حتي هاجمه الناس، وقتلوه في غيبة "محمود" في الهند سنة(٤٠٤هـ /١٠١٢م). ذبيح الله صفا:تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٥٣٨.على الشابى:الأدب الفارسي في العصر الغزنوى، ص٧١.استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٢٨٢.

[١].العتبى: تاريخ اليمينى، ج٢، ص١٧٠، ١٧١.

[٢]- John Perry: Iranian Nationality and the Persian Language, translated by michael Hillmann,Washington,١٩٩٢,p٤١.

[٣].نظام الملك: سياست نامه، ص٣.

[٤].ذبيح الله صفا: تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنكى إيران، ص١٥٤.

Sheila Blair: Islamic Inscriptions,Singapore,١٩٩٨,p٢٤.

[٥]. محمد العمادى: خراسان فى العصر الغزنوى، ص٢٤٦. عبد الحميد الرفاعى: الدولة الغزنوية، ص٢٩٥.

Lapidus: A History of Islamic Societies,p١١٦.

وتحيا اللغة عمومًا بحياة أمرين: بحياة مفرداتها من جهة وتراكيبها وأسلوب التعبير بها من جهة أخرى، وإذا كانت التراكيب لا تتم إلا بقواعد النحو[١]، فإن أساليب التعبير لا تتم إلا بالبلاغة[٢]. لذلك اهتم العلماء بتدوين البلاغة وتتبع الأساليب وما فيها من جمال لفظى وما فيها من تصرف فى طرق أداء العبارة وطرق التعبير كما هى فى نفس المتكلم.

باتساع الفتوحات الإسلامية واختلاط العجم بالعرب واندماج بعضهم فى بعض، ظهر اللحن فى لغتهم وتسربت العجمة إلى لسانهم، فخشى العلماء أن تفسد اللغة وتذمروا مما كانوا يسمعونه من اللحن وخصوصا فى قراءة القرآن، وأحسوا بالحاجة إلى ما يصون لغتهم ولسانهم من اللحن والعجمة، فوضعوا علم النحو وتعجلوا فى وضعه عناية منهم بالقرآن، وحرصًا على نطقه بلسان عربى مبين[٣].هكذا نشأ علم النحو نتيجة اختلاط العرب بالأعاجم عندما دخل كثير منهم فى الإسلام، عندئذ ظهرت الحاجة إلى وضع قواعد تعصم اللغة العربية من الخطأ.

وقديمًا كان علماء العربية لا يفرقون في التأليف بين النحو والبلاغة، وقد نال هذان العلمان موضع اهتمام علية المثقفين فى ذلك العصر، ومن هؤلاء:

---

[١]. علم النحو:هو قانون اللغة العربية وميزان تقويمها، وهو علم يتعرف منه أحوال اللفظ المركب من جهة ما يلحقه من التعابير المسماة بالإعراب والبناء وأنواعها من الحركات والحروف ومواضعها ولوازمها وكيفية دخولها في الجمل، لتبين دلالتها علي المقصود ودفع اللبس عن سامعها، وأهم سبب لوضع النحو المحافظة علي القرآن من أن يلحن الناس فيه.(القلقشندي:صبح الأعشي، ج١، ص١٦٧.السكاكي:مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٧٥. طاش كبري زاده: مفتاح السعادة، ج١، ص١٢٠.أبى الطيب اللغوى: مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م، ص٢٣.

[٢]. البلاغة: هى ضبط طرق الاستعمال للكلام البليغ والتمرين على إفادة التعبير، وهى أنك تخاطب كل إنسان بما يقتضيه حاله، وأن تقدم لكل مقام ما يتطلبه، فإذا كنت فى مقام التأكيد أكدت، وإذا كنت فى مقام الوصف وصفت وشبهت، وإذا كنت في مقام التجريد جردت.عبد الستار أبو غدة:رب زدنى علمًا، ص٨٥.

[٣]. الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين، ص١١.أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٢٣.

"عمر بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الوارث أبو الحسين الفارسى النحوي" (ت٤٢١هـ / ١٠٣٠م) أحد أفراد الدهر وأعيان العلم وأعلام الفضل، أخذ عن خاله "أبى على الفارسى"علوم اللغة العربية، سافر إلى بلاد عديدة حتى وزر للأمير"إسماعيل بن سبكتكين" "بغزنة"، ثم عاد إلى نيسابور ثم إلى مكة، ثم عاد إلي"غزنة"، وأملى بها النحو والأدب، وله تصانيف منها: كتاب "الهجاء"، وكتاب "الشعر"[١].

"أبو الحسن على بن فضال بن على بن غالب القيروانى المجاشعى النحوى"(٤٧٩هـ /١٠٨٦م) ذهب إلى بلاد عدة حتى وصل إلى مدينة "غزنة"، وهناك أقبل عليه أكابر القوم، كان إمامًا في اللغة والنحو والسير، له كتابًا فى النحو مكون من عدة مجلدات، وهو كتاب "إكسير الذهب فى صناعة الأدب"، وكتاب"النكت فى القرآن"، وكتاب"البسملة وشرحها"، وكتاب "العوامل والهوامل"، وكتاب"الفصول فى معرفة الأصول"، وكتاب"الإشارة فى تحسين العبارة"، وكتاب "شرح عنوان الإعراب"، وكتاب "العروض"، وكتاب "معانى الحروف"، وكتاب "الدول في التاريخ"، وكتاب "شجرة الذهب فى معرفة أئمة الأدب"، وكتاب "معارف الأدب"، ومن شعره:

وإخوانٍ حسبتهم دروعًا ... فكانوها ولكن للأعـــادى

وخلتهم سهامًا صائباتٍ ... فكانوها ولكن فى فـــؤادى

وقالوا: قد صفت منا قلوب ... لقد صدقوا ولكن عن ودادى[٢]

"أبو نزار الحسن بن أبى الحسن صافى النحوى"(ت٥٦٨هـ / ١١٧١م)المعروف"بملك النحاة"، سافر إلى خراسان وكرمان و"غزنة"، قرأ مذهب الشافعى على"أحمد الأشنهى"، والأصول على "أبى عبد الله القيروانى"، وأصول الفقه على "أبى الفتح بن برهان"

---

[١]. الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٤، ص٤٤٥: ٤٤٧. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٨، ص١٨٦: ١٨٧.

[٢]. ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٢٤.الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٢، ص٢٧٠. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج١٤، ص٩٠: ٩٤. اليماني:إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٩٨٦م، ص٢٢٤.

والخلاف على "أسعد الميهنى"، والنحو على"أبى الحسن على بن أبى زيد الفصيحى"، برع في النحو حتى صار أنحى أهل طبقته، ومن كتبه: كتاب "معارف الأدب فى النحو"، وكتاب "العروض"، وكتاب "شرح معانى الحروف "، وكتاب "الحاوى فى النحو"، وكتاب "العمد فى النحو"، وكتاب "المقتصد فى التصريف"، وكتاب "التذكرة السفرية"، وكتاب "العروض"، وكتاب فى الفقه علي مذهب الشافعى، وكتاب "مختصر فى أصول الدين"[١].

الخلاصة كان لعلم النحو فوائد جمة لمعرفة اللسان العربى الذى نزل به القرآن الكريم وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم للأمة، فمعرفة اللسان العربى واجبة لمعرفة شريعة الله التى وجب معرفتها بها، امتثالا لقول الله تعالى:﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلكمْ تَعقِلونَ﴾[٢].

ب. الأدب[٣]

إن للأدب شعره ونثره دورًا مهمًا في التعبير عن الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى أى عصر من العصور، إذ أنه المرآة التى تنعكس عليها أحداث كل عصر، كما أنه المجال لتسجيل الأصول والمبادئ والأفكار السائدة فى كل بيئة.

---

[١]. السبكى: طبقات الشافعية، ج٧، ص٦٤. الصفدى: الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٣٧. ابن قاضي شهبة: طبقات الفقهاء الشافعية، ج١، ص٣٢٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٩٢. محمد الطنطاوى: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط٢، دار المعارف، (د.ت)، ص٢٠٤.

[٢]. يوسف: (٢)

[٣]. الأدب: لغة مصدر أدب يأدب أدبًا إذا ظرف وتهذبت أخلاقه فهو أديب، واصطلاحًا علم يقتدر به صاحبه علي التصرف في وجوه الكلام العربي المنظوم منه والمنثور، فيكتب ويخطب ويحادث بعيدًا عن الخطأ والخلل فيه، وطريقة تحصيل هذا الفن بعد معرفة اللغة وعلومها من نحو وصرف وبلاغة والإكثار من الجيد من كلام العرب المنثوروالمنظوم والتعرف في وجوهه كتابة وخطابة. أبو بكر الجزائرى: العلم والعلماء، ص٧٢.

شهد القرن الرابع الهجري بداية تميز العلم عن الأدب، فقد عَرف هذا العصر عددًا من المؤلفات التي كانت تعكس تخصصًا بدأ يتسع ليشمل كل مجالات المعرفة آنذاك، سواء أكان ذلك في العلوم الدينية والفكرية كالقرآن والحديث والفقه، أم فى العلوم التطبيقية والتجريبية كالرياضيات والطب والفلك. وبالنسبة للأدب فهو يشمل كل المعارف الدنيوية المتوفرة لدى الإنسان المثقف، وفي كل المجالات المعرفية والأخلاقية والجمالية، فالأدب هو مجموع النتاج الذى يمدن الإنسان ويجعل منه مثقفًا، ومن الواضح أن هذا المفهوم يشمل ثقافة أدبية واسعة في مجالات اللغة والجغرافية والتاريخ والفلسفة، وعلي ذلك فالأديب يجب أن يأخذ بكل العلوم ليستطيع أن يحقق مفهوم الأدب، وهو مفهوم مرادف لمعني الثقافة كما نعرفها اليوم، وقد تردد هذا المفهوم عند"ابن قتيبة" الذي قال "من أراد أن يكون عالمًا يطلب فنًا واحدًا، ومن أراد أن يكون أديبًا فليتوسع فى العلوم"[١].

مع ضعف الخلافة العباسية وظهور القوميات الفارسية في شرق الدولة الإسلامية، شرع الفرس يحيون آدابهم القديمة ويكتبونها لا باللغة العربية لغة الدين والأدب الرفيع في الدولة، ولكن بلغتهم الفارسية مكتوب بالحروف العربية التي تأثروا بها. وقد حاولوا نفس هذه المحاولة في العلوم الدينية، ولكنهم عجزوا عن تحقيق ذلك لأن القرآن والحديث وما تفرع منهما من علوم تشتمل علي الكثير من المصطلحات التي يتعسر عليهم مقابلتها بلغتهم الفارسية، فاضطروا إلي دراسة هذه العلوم في نصوصها العربية دون تغيير، ولا شك أن هذه الحركة أعقبها إحياء الأدب الفارسي، وكان لابد من أن ينشأ هناك نوعان من الأدب: أدب عربي وأدب فارسي، وقد أخذ هذا الأخير يزدهر وينمو في ظل الدولة الغزنوية[٢].

---

[١]. حسين الصديق: المناظرات فى الأدب العربى الإسلامى، ص١٨.

[٢]. حامد حنفى داود: الآداب الإقليمية في العصر العباسي الثاني، القاهرة، مكتبة العرب، ١٩٧٧م، ص٢٧. محمد محمدى: الأدب الفارسى فى أهم أدواره وأشهر أعلامه، ط٢، طهران، ١٩٩٥م، ص١٤.
Lapidus: A History of Islamic Societies,p١٢.

شهد العصر الغزنوي نهضة أدبية واسعة تلك النهضة التى لم يكن لها فيما سبق مثيل، ولعل ذلك نتيجة لأسباب عديدة منها:.

١. انتصارات السلطان محمود الحربية وغزواته المختلفة، والتي كانت من الأسباب التي أطلقت ألسنة الشعراء بمدح السلطان "محمود" والثناء عليه، ولم يكن السلطان "محمود" وحده الذى حرك ألسنة الشعراء بانتصاراته الحربية فأبوه من قبل وأخوه نالًا من شعر الشعراء نصيبهما

٢. كان لوفرة الأموال والغنائم التى عاد بها السلطان "محمود" من انتصاراته الأثر فى انتشار الترف بحيث صارت "غزنة" قبلة لعدد من الشعراء والعلماء، بالإضافة لوجود طبقة ذواقة للأدب احتضنت الشعراء والأدباء وعلماء اللغة والأدب والنحو، تمثلت فى السلاطين والأمراء والوزراء والموسرين من أفراد المجتمع الذين كانوا يتنافسون على احتضان الأدباء والشعراء للاستمتاع بجلساتهم الأدبية [١]

٣. كثرة اطلاع الكُتَّاب والأدباء على الثقافات المختلفة، لوجود المدارس التعليمية والمراكز العلمية والمكتبات التى تساعد على الاطلاع

٤. استخدام الصوفية للنثر والشعر فى مؤلفاتهم لإرشاد الناس وهدايتهم[٢]

٥. الصراع المذهبى الذى نشب بين الفرق والمذاهب الإسلامية التي انتشرت في العالم الإسلامي، فوجد الأدب مجالًا خصبًا لتسجيل المبادئ والأفكار التى كانت تدعو لها كل فرقة من ناحية وتصوير الصراع المذهبى بين هذه الفرق من ناحية أخرى[١]

Ella Marmura: Arabic Literature a Living Heritage,Introduction to Islamic Civilization,U.S.A.١٩٧٦,p٦٢.

[١]. ذبيح الله صفا: تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنكى إيران، ص١٥٥.

[٢]. عبد السلام عبد العزيز فهمى: موضوعات النثر الفارسى، ص١٤. أحمد كمال الدين حلمى:عمر الخيام عصرًا وبيئه ونتاجا، القاهرة، مطبعة الخانجى، ١٩٩٤م، ص٥٤.

تمايز الأدب وتعددت فنونه وبرز فيه عدد كبير من الشعراء والأدباء الكبار، واشتمل علي حركة أدبية شاملة ازدهرت فى مدينة "غزنة" خلال العصر الغزنوى.وسوف يعالج البحث النثر وأقسامه وأنواعه في البداية ثم ينتقل إلي الشعر والشعراء.

• النثر[٢]

حدث تطور كبير فى النثر خلال تلك الفترة والذى أتبعه تعدد وتنوع فى أنواعه [٣]، حيث تمايز النثر إلى قسمين علمى وفنى، فالنثر العلمى: هو ذلك النثر الذى كتبت على منواله المؤلفات العلمية فى العلوم المختلفة كالطب والفلك والرياضيات.... ولم يكن هم العلماء في تلك المؤلفات إلا عرض أفكارهم وشرح آرائهم وتقرير الحقائق وإقامة البراهين، فقد كانت خالية من الصنعة التى طغت على النثر الفنى. ومن استعراض الكتب العلمية التي ألفت في تلك الفترة يلاحظ أن الايجاز كان طابعها، وكذلك خلوها من التكرار والمترادفات، وذلك لأن الآراء العلمية النظرية لا تدع مجالًا للتكرار أو التلاعب بالألفاظ، ولا مجال فيها للبديع أو الصنعة، وإن استخدم السجع فى بعض الأحيان ففى المقدمات فقط لا فى صميم الكتب[٤].

أما النثر الفنى: فهو ذلك النثر الذى يرتفع به أصحابه من لغة الحديث العادية ولغة العلم الجافة إلى لغة فيها فن ومهارة، فالفترة محل الدراسة تميزت بالترف والبذخ والذى

---

[١]. مجدى عبد المنعم عجمية: الاختلاف حول منزلة السنة وأثره فى الشعر الإسلامى عند العرب والفرس، مجلة رسالة المشرق، مج٥، ع١: ٤، ١٩٩٦م، ص٣٨٥.

[٢]. النثر: فن جميل فهو لغة العقل وترجمان الفكر، وهو الأسلوب المتبع في التعبير، ويكون النثر لغة مكتوبة أو منطوقة منطويًا على معني وخاضعًا لأصول اللغة. مأمون بن محي الدين الجنان: بديع الزمان بين المقالة والرسالة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م، ص١٨.

[٣]. ذبيح الله صفا: تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنكى إيران، ص١٦٠.

[٤]. علي الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص٣٤٩.

انعكس علي نفسية الأديب، والتى تحولت إلى البذخ الفنى حيث أسرف كُتَّاب تلك الفترة فى تزين كتاباتهم بالسجع والجناس والطباق، كما حرصوا على تضمين كتاباتهم بالشعر والأمثال فشاركوا الشعراء في موضوعات الغزل والمدح والهجاء والوصف، وما كان وقفًا على الشعر طيلة العهود الأدبية السابقة أصبح مشتركًا بين النثر والشعر، وهذا نتيجة مباشرة لتأثير الأدب العربى على الأدب الفارسى[١].

ولع أبناء تلك الفترة بهذا اللون من الكتابة حتي أن بعضهم فضله علي الشعر. وكان النثر الفني فى تلك الفترة يشمل الرسائل الديوانية والإخوانية والخطابة والقصص والمقامات.

(١) ـ الرسائل "الديوانية و الإخوانية"

كانت كتابة الرسائل مجالًا للتمرين على إظهار صور البلاغة وأساليبها، وكانت تلك الرسائل دليلًا على امتلاك المسلمين لناصية البيان، لذلك استحوذت الرسائل على تفكير كثير من الأدباء فمنحوها العناية الكاملة والزخرف المتعدد من سجع وجناس وطباق[٢]. وقد اتفق المشتغلون بالأدب على أن يقسموا الرسائل إلى نوعين:ـ

الرسائل الديوانية

هى الرسائل التي كانت تكتب بها شئون الدولة كإرشاد من الخليفة إلي والٍ من الولاة، أو توجه إلي حاكم، أو وصف لموقعة، أو تهديد إلي خارج علي الدولة.ولتلك الرسائل أهمية تاريخية كبيرة، وترجع قيمتها التاريخية إلي أنها تسجل الأحداث التاريخية والمواقع الحربية وأسماء الحكام والقواد والقضاة، كما تصور ألوان الحياة السياسية، ومن هنا

---

[١]. المرجع السابق، ص٣٤٧. ذبيح الله صفا: المرجع نفسه، ص١٦٦.

[٢]. مصطفى الشكعة: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص١٥.

نعتبرهذا النوع من الرسائل وكأنه وثائق تاريخية تسجل ما لم يتنبه بعض المؤرخين إلي تسجيله من أحداث داخلية وحياة اجتماعية[١].

كانت تلك الرسائل تكتب في ديوان خاص يسمي "ديوان الرسائل" ويرأس هذا الديوان شخص يطلق عليه الرئيس أو صاحب ديوان الرسائل، وهو فى الواقع رئيس ديوان الإنشاء السلطانية، ويأتمر بأمره عدد كبير من الموظفين والمحررين المنشئين، الذين كانوا ينعمون بثقة الدولة ويحفظون أسرارها[٢]. كان يشترط فى صاحب ديوان الرسائل السرية والإلمام باللغة العربية والفارسية، وبالآداب وعلوم الدين والفلسفة والتاريخ [٣].

تنوعت أساليب كتابة الاستهلال والخاتمة بحسب مقام المرسل إليه، فقد وزنوا الألفاظ وقدروها بشكل دقيق، وظهرت أساليب مختلفة في المراسلات ما بين أسلوب وآخر، فكانت هناك فروق في كتابة رسالة عن أخرى[٤].

تولى ديوان الرسائل فى العصر الغزنوى نخبة من كبار الأدباء أصحاب الثقافة الواسعة مما أعانهم علي تعمق الأفكار وترتيب المعاني بشكل دقيق، وعنوا أيضًا بألفاظهم عناية قد تفوق عنايتهم بمعانيهم، ومن هؤلاء"أحمد حسن الميمندي"و"أبى نصر مشكان"و"أبى الفتح البستى" و"أبى نصر العتبى" وغيرهم الكثير[٥]. كان لهؤلاء الكُتَّاب أثر كبير في نشر نوع خاص من الثقافة، ذلك أن ثقافتهم كانت أوسع من ثقافة غيرهم، حيث كانت معارفهم ودائرة اطلاعهم شاملة، لأنهم بحكم عملهم مضطرون إلي أن يعرفوا أحوال الناس الاجتماعية وتقاليدهم وأن يعرفوا الأدب وعلوم الدين والفلسفة والجغرافيا والتاريخ. وسوف يقتصر حديثنا هنا عن أشهر كُتَّاب الدولة الغزنوية وهم:.

---

[١]. مصطفى الشكعة: بديع الزمان الهمذانى رائد القصة العربية، ص٧٧.

[٢]. عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ترجمة أحمد كمال الدين حلمى، ١٩٨٤م، ص٥٢.

[٣]. أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج١، مكتبة الأسرة، ١٩٩٧م، ص١٨٧، ١٨٩.

[٤]. مريزن سعيد عسيرى: الحياة العلمية في العراق فى العصر السلجوقى، مكة، ١٩٨٥م، ص٣٨٢.

[٥]. البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٧، ٦٦، ١٥٢، ١٦٦. هندو شاه: تاريخ فرشته، ص ٢٨. محمد الرفاعي: الخلافة العباسية، ص٢٠٨.

"أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين بن يوسف البستي"(ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)[١] أو (٤٠١هـ / ١٠١٠م)[٢] ينسب إلي مدينة بست التي اكتسبت شهرة فى الحياة الثقافية والأدبية، فبعد أن انضمت هذه المدينة إلي الأمير"سبكتكين" دخل البستى في خدمته وأسند الأمير"سبكتكين"له منصب رئيس ديوان الرسائل والذي أطلق عليه البستى"خزينة الأسرار"[٣]. ظل "البستى" يقوم بكتابة الرسائل وتوجيه الكتب أكثر من خمس عشرة سنة في الدولة الغزنوية، ومعنى هذا أن "أبا الفتح" كانت له رسائل سياسية بارعة يخاطب بها الأمراء والحكام بلغة سلسلة تمتاز بسهولة الألفاظ ويسرها، وهو أقصي ما يمكن أن تصل إليه براعة الكاتب[٤]، لذا نجده يصف نثره وشعره بهذين البيتين:-

إذا أحببت أن تحظى بسحر فلا تختر على نظمى ونثرى

فأحسن من نظام الدر نظمى وأنق من نثار الورد نثرى[٥]

ومن مقدمة رسالة يقول فيها:"كتبت وقد هبت ريح النصرة من مهبها وأشرقت الأرض بنور ربها...."وهناك رسالة كتبها علي لسان السلطان"محمود" إلي "قابوس بن وشماگير" يتشفع فيها للشيخين"أبي نصر" و"أبي سعيد" ابني الشيخ "أبي بكر الإسماعيلى" يقول فيها:"من علم الأمير شمس المعالي... أدام الله عزه الكريم . فكأنما علم الغيث

---

[١]. الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٤، ص٣٤٧. فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ترجمة عرفة مصطفي، ج٤، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٣م، ص٢٥٤.

[٢]. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢٢٨. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٤٨. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٤٥٧.

[٣]. العتبى: تاريخ اليميني، ج١، ص٦٨. ميرخواند: روضة الصفا، ص١٣١.

Bosworth: The Development of Persian Culture under the Early Ghaznavids,p٣٦.

[٤]. البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٩٧. استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٢٨٠.

[٥]. استاد خليلى: المرجع نفسه والصفحة.

سجامًا والليث أقدامًا، وذلك لأن المكارم من خصائص معانيه ونتائج مساعيه ومعاليه، غير أن العادة جارية بهذا السيف وإن كان ماضي الفرار...."[١].

ويتضح من نثر البستى أنه ماهر فى الإنشاء وفى الصناعات البديعية، أما شعره فأكثره مقطوعات يعمد فيها إلى المعنى الدقيق ويكثر فيها من ذكر الحكم والأمثال[٢]. لذلك يعتبر من كبار شعراء عصره، ومن أصحاب اللسانين الفارسى والعربى[٣]، ومع أنه نظم ديوانين أحدهما بالفارسية والآخر بالعربية، إلا إن شهرته ترجع إلى أشعاره العربية وما ألفه بها من كتب نثرية، وقد نظم معظم أشعاره العربية فى المعارف والتوحيد[٤] ومن أشعاره:.

أحسن إلى الناس تستبعد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

وإن أســـاء مسئ فليكـــن لك ... فى عروض زلته صفح وغفران

وأشدد يديك بحبل الله معتصمًا ... فإن الركن إن خانتك أركـان

من استعان بغير الله فى طـلب ... فإن ناصره عجز وخـــذلان[٥]

وله أيضًا:

وثقت بربى وفوضت أمرى إليه ... وحسبى به من معـــين

فلا تبتئس لصروف الزمـــان ... ودعنى فإن يقينى يقينى[٦]

---

[١]. الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٤، ص٣٤٥.

[٢]. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٤٧. العتبى: تاريخ اليمينى، ج١، ص٦٧.

[٣]. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٤٥٧.

[٤]. سعيد السيد الباجورى:الشعر التعليمي في الأدب الفارسى الإسلامى فى عصر الغزنويين والسلاجقة، ص١٨.

[٥]. السبكي: طبقات الشافعية، ج٥، ص٢٩٥.

[٦]. الثعالبى: المصدر نفسه والجزء، ص٣٨٢.

وعلى الجمله فشعره ونثره يدلان على رقة ذوقه وسعة ثقافته فى فروع العلم المختلفة، والذى ساعده على ذلك مزاولته الكتابة للسلاطين والأمراء واحتكاكه بالأحداث السياسية والمشاكل الاجتماعية، وأكثر ما يتجلي ذلك في أمثاله وحكمه [١]. أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبى(ت٤٣١هـ / ١٠٣٩م) فارق وطنه الرى فى مقتبل شبابه، وذهب إلي خراسان ثم توجه للكتابة للأمير"سبكتكين"مع"أبي الفتح البستي"، يقول عنه "الثعالبي":"هو لمحاسن الأدب وبدائع النثر ولطائف النظم ودقائق العلم، كالينبوع للماء، والزند للنار، يرجع معها إلي أصل كريم وخلق عظيم"، له كتاب لطائف الكتاب وغيره من المؤلفات[٢].

ومنهم " أبو نصر بن مشكان"(ت٤٣١هـ / ١٠٣٩م) تولى رئاسة ديوان الرسائل في عصر السلطان"محمود"وابنه السلطان "مسعود"، كان"أبونصر"أستاذًا في الأدبين العربي والفارسي[٣]، أطلق عليه معاصروه لقب الشيخ العميد، وتحدث عنه تلميذه "أبو الفضل البيهقي" وقال أنه كان أستاذًا جليلًا وأنه استفاد من علمه وتوجيهاته، وأنه كان آية فى كتابة الرسائل السياسية التى كانت توجه من السلطان إلى الخليفة أو من السلطان إلى الملوك الآخرين أو منه إلى حكامه فى الأطراف، وكان ممن تثقفوا على يد السلطان "محمود"[٤].

مؤلفاته تعتبر من أوائل الكتب التي ظهرت فيها صبغة التطور، وقد حاول "أبو نصر" أن يجعل كتابة الرسائل باللغة الفارسية، ولذلك فإن ما كتبه من رسائل يعد من النصوص

---

[١].ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١٦٠. محمد جمال الدين سرور:انقسام الدولة الإسلامية إلى دول مستقلة، ص٣٧.أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١، ص٢٨٦. بدر عبد الرحمن:الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى، ص٣٥٥.

[٢].الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٤، ص ٤٥٨.

[٣]. ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢٣٥. ذبيح الله صفا: تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنكى إيران، ص١٦١.

[٤].البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٧٨.

الهامة لدراسة النثر الفارسي وتطوره، إلا إن معظم تلك الرسائل قد ضاعت وتبددت بحيث لم نعثر علي آثار مستقلة تنسب إليه اللّٰهم إلا ما قام "البيهقي" بجمعه من آثار أستاذه وضمه كتابًا باسم "مقامات أبي نصر بن مشكان" غير أن هذا الكتاب أيضًا قد ضاع ولم نعرف عنه إلا اسمه. وقد حفظت لنا بعض الكتب مقتطفات من هذا الكتاب من بينها كتاب "تاريخ البيهقي"[١].

[١]. حربي أمين سليمان: النثرالفارسي والتأثير العربى في العصرين الساماني والغزنوى، ص٤٩.

الرسائل الإخوانية

يقصد بها الرسائل المتبادلة بين طبقات الشعب المختلفة، وغالبًا كان كُتَّاب الرسائل ممن لم يتولوا مناصب رسمية في الدولة بل كانوا من عامة المشتغلين بالأدب، وإن كان ذلك لم يمنع بعض الرسميين من أن يكتبوا رسائل إخوانية. وقد لعبت تلك الرسائل دورًا خطيرًا في المجتمع بما كانت تضم بين دفتيها من نقد نظام فاسد، أو شكاية حاكم ظالم، أو تنفيس عن الكروب التى ينالها الناس من الحكام المستبدين[١].

ازدهرت تلك الرسائل فى العصر الغزنوى وتعددت أغراضها، وكانت تكتب نثرًا أو شعرًا على حد سواء، ولكنها فى النثر أكثر، وهي تدور حول معاني وجدانية خاصة بالمتراسلين من شوق وعتاب أو شكر ولوم وغير ذلك من الأغراض، وفي أحيان أخري قد تتناول بحثًا أدبيًا أو جدلًا نظريًا مثل تلك الرسائل المتبادلة بين"البيروني"وأستاذه "أبو نصر منصور بن عراق"، ومن تلك الرسائل رسالة أرسلها "البيروني" عن بعض مسائل في الهندسة، قال فيها:"وصلت المسائل التي قرأتها بكتابك، وذكرت أن ثلثا منها قد تضمنها كتاب "أبي سهل الكوهي" في البركار التام، وسألتني عملها بالأصول الهندسية والطرق الصناعية، وعمل سائر المسائل المقرونة بها أجبتك إلى ملتمسك، وإن كانت تلك المسائل متفاوتة المراتب فى السهولة والصعوبة، وفي ص (٢١) أجوبة المسائل التى سألت الإبانة عنها، على قرب غورها وسهولة مأخذها "[٢].

أما الرسائل الشعرية: وهى تلك الأشعار التى كان الشاعر يرسل بها إلي بعض الشعراء المعاصرين أو إلي بعض أصدقائه، ويتحدث فيها عن أحواله أو يبعث فيها بتحياته إليهم أو برده علي أشعار وصلته منهم أو التي كان يمازح فيها بعض الأشخاص. ومثال ذلك تلك الأشعار التي أرسل بها الشاعر "مسعود سعد سلمان" إلى أصدقائه عمر ومنصور وعطاء، ومن ذلك قوله في رمضان والصيام ما ترجمته:.

---

[١]. مأمون بن محى الدين الجنان: بديع الزمان الهمذانى بين المقالة والرسالة، ص٣٣، ٣٧.

[٢]. التوانسى: أبو الريحان البيروني، ص٢٥.

.يا رفاقى يا عمر ويا منصور ويا عطاء، يا من أنتم الثلاثة سماء وهواء وصبا

.إن الجوع فى شهر رمضان قد جعلنى مسكينًا، فهل لديكم خبر عن شهر شوال[١]

بالإضافة إلى المراسلات الشعرية بينه و بين الشعراء المعاصرين له ومنهم:الشاعر "محمد بن محمد رشيدى السمرقندى" والذى له عدة مصنفات فى الشعر، والذى أرسل بقطعة من الشعر إلى الشاعر "مسعود سعد سلمان" يطلب منه أن يرسل إليه بأشعاره يقول فيها:.

.السيد مسعود سعد لويرى، لا أراه الله من الحوادث غبارًا أو أثرًا

.فليرسل إلى باشعاره التى هى نتيجة كمال طبعه، بدلا من هدية المسافر

وقد أرسل له مسعود سعد سلمان قصيدة يقول فيها:.

.أرسل لك بحديثى فليس جائز سوى هذا، فأنت محك ومسن لذهبنا وحديدنا

.ولم يبق لى من المتاع سوى هذا الوجه الأصفر فى لون الذهب، والا لما كانت هديتى لك هى الشعر[٢]

كانت الرسائل الإخوانية تصاغ صياغة أنيقة مثقلة بأوجه البلاغة من موازنة وسجع وإستعارة وتورية، مع التضمين والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال والشعر والأقوال، مما يدل علي مقدرة لغوية وبراعة أدبية وإحاطه بعدد من وجوه المعرفة، وهناك رسالة أرسلها الفقيه الواعظ "أحمشاذ بن عبد السلام الغزنوى" يهنئ بها أحد أكابر"غزنة" بميلاد ابنته، يقول فيها "هذا شعيب النبي بابنته صفورًا استأجر موسى كليم الله أعوامًا ودهورًا، وهذا سيد المرسلين بابنته فاطمة أبقي الله نسله إلى يوم الدين، وهذه أم الكتاب سميت الفاتحة وهي لأبواب مناجاة الرحمن فاتحة، وهذه محكمات القرآن بها

---

[١]. طلعت محمد أبو فرحة: مسعود سعد سلمان عصره وبيئته وشعره، ص٣٠٦.

[٢]. المرجع السابق، ص٢٢٦.

تثبت شرائع الإيمان، وهذه سورة النساء وسميت بهن، وهي من الطوال ولا سورة من القصار سمت بالرجال،علي أن الدنيا بأسرها مؤنثة والملوك من خدامها، والشمس تؤنث وهي من السناء والسنا والضياء والبهاء في تمامها، والنفس تؤنث وبها فضل الناس، والحياة تؤنث وهي أساس الحواس، والعين تؤنث وبها يتوصل إلى الحقائق ،والأذن تؤنث وبها يتوصل إلى الدقائق، واليد تؤنث وهي المتصدية لتحبير الانشاء، والعضد تؤنث وبها استقامة سائر الأشياء، والسماء تؤنث وهى ترجى للأمطار، والأرض مؤنث وهى تنتظر لنفحات الأزهار، والفردوس تؤنث وهى مجمع أطايب الثمار وبها وعد الأخيار الأبرار، والعين أعنى الذهب تؤنث ودونها مذلة للنفوس والخمر تؤنث وزعموا أنها مطردة العبوس، والدرع تؤنث وبها تدفع الهلك والقوس تؤنث وبها يحرز الملك[١].

وممن اشتهر بكتابة الرسائل"أبو الفضل أحمد بن الحسن المعروف ببديع الزمان الهمذانى"(ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م)[٢] والذى بلغت رسائله ٢٣٣ رسالة وأغلبها مكاتبات خاصة بذل في كتابتها جهدًا كبيرًا، وقد قامت تلك الرسائل مقام القصيدة الشعرية فى أغراضها وأهدافها، ومن ثم نهج فيها "بديع الزمان" إلى المدح والهجاء والفخر والرثاء والشكوى والعتاب، أما أهم أغراض تلك الرسائل فهو علاج شئون المجتمع وإعلان مشكلات الناس والاسهام فى علاجها وكشف عيوب وسلبيات الحكام[٣].

ومن التفاصيل التى وصلتنا عن "بديع الزمان" نقف على موهبة عظيمة عانى صاحبها التشرد وقاسى الغربة وسوء الحال[٤]، فبعد أن حصل على ثقافة وافرة من اللغة والشعر، وعند بلوغه الثانية والعشرين عام(٣٨٠هـ/٩٩٠ م) بدأ يفكر فى السفر والترحال[٥].

---

[١]. عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر، ج٢، ص١٤٧.

[٢]. ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٢، ص١٦١. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢١٨.

[٣]. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، القسم الأول(١. ٢)، ص٤٣٤. مصطفى الشكعة: بديع الزمان الهمذانى، ص٢٠.

[٤]. محمد عبده: مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذاني، مؤسسة دارأخبار اليوم، ص (ج، و).

[٥]. الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٤، ص٢٩٤. ياقوت الحموى: المصدر نفسه والجزء، ص١٦٥.

واتسمت رحلاته بالخصوبة والإثارة معًا، حيث توجه من الرى إلى جرجان ثم نيسابور فسجستان إلا إنه لم يلبث أن ضاق به المقام، فتوجه إلي مدينة هراة، وكانت تابعة إنذاك للدولة الغزنوية ثم توجه إلي "غزنة" واتصل بالسلطان "محمود "، وما لبث أن توفى بعد ذلك بفترة قصيرة[١]. هكذا ودع الحياة أديب شاب بقي ذكره بآثاره الرائعة، بعد أن أهدى قومه ولغته تراثًا مجيدًا تفخر به الأمة، من درر الشعر وجواهر النثر من قصة طريفة أو مقالة بليغة أو شعر رقيق.

ومن أبلغ رسائله ما كتبه إلى الوزير "أبى العباس الإسفراييني" وزير السلطان "محمود الغزنوى"، ومن بينها رسالة يصف فيها هزيمة الدولة السامانية بباب سرخس، وأخرى وصف فيها فتح بهاطيه بالهند [٢]، كما كان "لبديع الزمان" قصائد فى مدح السلطان "محمود" [٣]، على أن أشعاره وقصائده تدل على أن صاحبها كان بفطرته كاتبًا وليس شاعرًا، أما بالنسبة لرسائله فكان لها أسلوبها وسماتها التى يمكن تلخيصها فيما يلى:.

- كثرة الصور البيانية والمحسنات البديعية إلي حد الإسراف.
- عنايته بانتقاء الألفاظ وتوليد الصور فى رقة وتلاحق، كما كان يكثر من اقتباس الشعر غيرمكتفٍ بالبيت أو البيتين.
- ظاهرة التضمين واضحة لديه وأكثر ما يكون فى المعنى القرآنى والحديث النبوى والأمثال السائدة.
- خروجه بشئ جديد من خلال رسائله، وهو الميل إلى القصص والحكايات على سبيل التمثيل[٤].

---

[١]. ياقوت الحموى: المصدر نفسه والجزء، ص١٦٢: ١٦٧. العتبى: تاريخ اليمينى، ج١، ص١٥٧.

[٢]. عبد الحميد الرفاعى: الدولة الغزنوية، ص٣٢٨.

[٣]. الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٩، ص٧٤.

[٤]. مصطفي الشكعة: بديع الزمان الهمذانى، ص٢١. آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ص٤٠٨، ٤١٢.

وخلاصة القول أن فن كتابة الرسائل الإخوانية قد عظم شأنها منذ أواخر القرن الرابع الهجرى، حتي كان الناس يستطيعون أن يعيشوا من هذه الصناعة كما عاش الشعراء قديمًا من التكسب بالشعر.

(٢) المقامات[١]

لم يقف فضل "بديع الزمان" عند هذا اللون الرفيع من الفكر والإنشاء. وهو كتابة الرسائل. بل أضاف إلى فن الكتابة العربية ثروة جديدة بما أنشأ من مقامات، حاول فيها لأول مرة في تاريخ الكتابة العربية أن يكتب القصة[٢]، فهو مبتكر فن المقامات فى الأدب العربى[٣].

كانت كلمة "مقامة" قبل "بديع الزمان" تعني العظة أو الخطبة، فلما أطلقها بديع الزمان علي ما أنشأ أصبح معناها "الحوار الممتع"، وتتضمن موضوعات هذه المقامات المناظرات فى الدين والمواعظ والأحاجى الشعرية، كما تتضمن أيضًا حيل الشحاذين واللصوص[٤].

تعتبرالمقامات عمل فني متكامل، وعناصر وحدته عناصر خاصة نجدها في الشخصيات الرئيسية مثل"عيسى بن هشام" و"أبو الفتح السكندرى"، وفى إيقاع البناء

---

[١]. المقامة: في اللغة المجلس والجماعة من الناس، ثم قصد بها ما يكتبه الأدباء من قصص تدور حوادثها حول رجل أديب فقير يجول في البلاد ليحتال بأدبه لكسب رزقه، وهى مأخوذة عن الأدب الفارسى، والغرض من كتابتها إظهار البراعة وتصوير حال طائفة من الأدباء الفقراء. وقد وفق بديع الزمان الهمذانى فى ذلك، فهو يسمعنا على لسان راويته حكايات قصيرة تتدفق تدفقًا مسرحيًا في نثر بارع السجع عما وقع لأحد الأدباء الضاربين في الأرض من نوادر شهدها هو بنفسه.(مأمون بن محي الدين: بديع الزمان الهمذاني، ص٦٩. يسرى عبد الغنى: ديوان بديع الزمان الهمذانى، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٨٧م، ص٥، ١٥. بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٧٩)

[٢]. مصطفى الشكعة: المرجع نفسه، ص١٦.

[٣]. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٦٧. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١٥٠.

[٤]. دائرة المعارف الإسلامية، ج٦، ص٥٠٧.

الداخلى وفى النهايات التى تبدو مغلقة، ولكنها تؤدى إلى بداية أخرى. كما نجدها فى هذا التجريد الخاص، فالمؤلف لا يصف كل شيء، ولكنه يترك مساحة كبيرة لخيال المتلقى لكى يصور بخياله هو الشخصيات والواقع الذى يتحركون فيه، ويكون الوصف هنا بمثابة إشارات دالة وليس قوالب محددة، فهى فى الواقع عمل فنى متكامل مفتوح إلى ما لا نهاية [١].

ومقامات "بديع الزمان" تعتبر فى بعض موضوعاتها من عيون الفكاهة فى الكتابة العربية، ولقد أجرى أكثر من محاولة فى هذا السبيل وخاصةً أنه أوتى موهبة فذة فريدة فى القدرة على الإضحاك، وإن مجرد قراءة مقامة كالبغدادية جدير بأن يخفف عن النفوس ما بها من تشاؤم أو حزن [٢].

خلاصة القول: إن المقامة شبه قصة، تدور حول بطل وهمى يروى أخباره راوية وهمى أيضًا، وبطلها رجل أحكم التحايل، فأخباره تدور حول الكدية والخداع والتمويه، وهى فى النهاية ميدان لعرض النكتة وإظهار البراعة كما أنها تعتبر من الوثائق التاريخية التى تعطينا فكرة صريحة عن الحياة الاجتماعية فى زمان كاتبها و أحوال العصر الذى عاش فيه.

(٣) الوصايا والنصائح "الحكم و المواعظ" [٣]

هناك نوع آخر من أنوع النثر الفارسى يسميه البعض نثر أو أدب الوصايا، وهو الأدب الذى يهدف إلى التعليم بمعناه العام الواسع، أو المتعلق بنوع من العلوم كالنحو والطب

---

[١]. محمد عبده: مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص(ز). دائرة المعارف الإسلامية، ج٦، ص٥٠٧.

[٢]. يسرى عبد الغنى عبد الله: ديوان بديع الزمان الهمذانى، ص٢٣.

[٣]. الوصايا والنصائح: جمع وصية ونصيحة، وأغلب الأمر في النصيحة أن تكون من محكوم إلي حاكم ومن مرؤس إلي رئيس، أما الوصية فإنما تكون من الإنسان إلى نده أو إلى من هو بمثابة ابنه، وقد يطلق اللفظان من باب الترادف علي معني واحد هو النصح والإرشاد والوعظ والتهذيب.محمد عبد المنعم خفاجى: دراسات في التصوف الإسلامى، ظلاله فى الأدب العربى، ج١، مكتبة القاهرة، (د.ت)، ص١٣٠.

والتاريخ وغير ذلك، أو كان يتناول القضايا التى تتعلق بالحياة اليومية من سلوك وأسلوب للحياة وطرق التعامل بين الناس، كالدعوة إلى تهذيب الأخلاق واكتساب الصفات الحميدة، أو كان يرمى إلى تعليم الناس المسائل التى تتعلق بمذهب معين أو عقيدة أو مبدأ، وتوجيههم إلى وجهات تخدم غرضًا سياسيًا أو مذهبيًا أو اجتماعيًا.

ومن الكتب التى تناولت هذا النوع من النثر كتاب"قابوس نامة " أو كتاب النصحية الذى ألفه الأميرعنصر المعالى كيكاوس بن اسكندربن قابوس بن وشماگير(ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م) وهو كتاب الحكمة العملية أو أدب الوصايا[١]. وعنصرالمعالى هو عاشر الأمراء الزياريين حكم قهستان من سنة(٤٤١هـ /١٠٤٩م)، وكان على صلة كبيرة بالأسرة الغزنوية، حيث تزوج ابنة السلطان محمود الغزنوى[٢]، واشتغل مدة بمنادمة السلطان "مودود بن مسعود" كما اشترك في غزوات الهند، ولم يتوان الأمير في شيخوخته وشبابه عن تكميل نفسه وتزويدها بالمعارف المختلفة، وعندما بلغ الثالثة والستين من عمره جمع ما حصل من معرفة وعلم وما اكتسب من تجارب فى كتاب وقدمه إلى ابنه ليعلمه كيف يعيش ويحكم.

دلل الأمير "عنصر المعالى" بكتابه على أنه أب عاقل مجرب حكيم نهج فى تربيته لولده نهجًا عمليًا واقعيًا، ولم يغفل ما كان جاريًا في زمانه من عيوب و نقائض اجتماعية، ولم يسير وراء المثاليات النظرية التي لا تغير من واقع الأمر شيئًا، فبصر ابنه بجانبى الخير والشر من حياته، ولم يفرض عليه قسرًا الالتزام بطريق بعينه بل ترك له حرية الاختيار.

بدأ "عنصر المعالي" تأليف كتابه سنة(٤٥٧هـ/١٠٦٤م)وأتمه عام (٤٦٢هـ/١٠٦٩م)، ويشتمل هذا الكتاب بعد المقدمة على أربعة وأربعين بابًا كلٍ منها يعالج موضوعًا خاصًا ويمهد في أغلب الأحيان لموضوع الباب الذى يليه، وتدل أبواب الكتاب دلالة قاطعة على سعة اطلاع مؤلفه وغزارة فضله وتمكنه من شتي أنواع العلوم والمعارف، وقل أن يخلو

---

[١].ذبيح الله صفا: تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنكى إيران، ص١٦٣. أربرى: تراث فارس، ص٢٨٤.

[٢].بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسى، ص٧٣.

فصل من النصائح والتى بلغت أربع وسبعين نصيحة تقريبًا. كذلك يتناول العظات والنصائح الدينية، والتى توجد في أبواب متفرقة منها: باب معرفة الله وباب شكر النعم وباب معرفة حق الوالدين، كما يتناول الحياة اليومية كباب تناول الطعام والضيافة واللعب، بالإضافة لتناول الوظائف والحرف المختلفة كالقضاء والتجارة [١].

وفى منتصف هذه الأبواب كان الكاتب يورد حكايات بلغ عددها احدى وخمسين حكاية ليوضح بها آراءه ونصائحه، وذلك بأسلوب شيق يدل على تفوق المؤلف في سرد الحكايات والقصص[٢]. وبالاطلاع على أبواب الكتاب يخيل للقارئ أن كل باب من أبواب الكتاب كتبه مؤلف ضليع في فنه وليس للأمير "عنصر المعالى" غير الجمع والتنسيق، وذلك لأن الأبواب المتعلقة بالطب والنجوم والهندسة تتطلب من كاتبها أن يكون قد قضى عمره فى دراسة موضوعاتها وممارستها.

ولكننا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن مؤلف الكتاب كان أميرًا مارس الحكم والسياسة وعكف منذ صباه علي تحصيل شتي أنواع الفنون والآداب، ونشأ في أسرة كان من أمرائها الكتاب والشعراء وضمت فى رحابها أهل العلم، لذلك يعد هذا الكتاب من الكتب الهامة في النثر الفارسي التي أطلعتنا علي الكثير من مظاهر التمدن والتحضر والأوضاع الاجتماعية في عصره، بل يمكن اعتباره خير مصدر للتعرف على الكثير من مظاهر الحضارة الإسلامية[٣].

أما من الناحية الفنية الأسلوبية، فهو من أهم الكتب التى يتجلى فيها النثر الفارسى فى المرحلة التى يبدو فيها الأثر العربى قويًا واضحًا ويبدو فيها النثر الفارسى سهلًا سلسلًا،

---

[١]. عنصر المعالى: قابوسنامة، ص٢٠: ٣١.

[٢]. بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسى، ص٧٤: ٧٥.

[٣]. عنصر المعالى: المصدر نفسه، ص٢١: ٣١. بديع محمد جمعة: المرجع نفسه، ص٧٧.

وتوجد به الألفاظ والمصطلحات والشواهد الشعرية والنثرية العربية بغير تكلف، وهو ما كان مستعملًا وشائعًا في ذلك العصر[١].

(٤) الخطابة[٢]

رسالة نبيلة ومهمة عظيمة تشتمل علي السجع المنمق والجمل المرصعة والأساليب التي تثير في النفس المهابة والخوف. والخطابة قسمان: خطابة سياسية تصدر من الخليفة أو الأمير أو القائد العام للجيوش للحث على الزحف، وخطابة دينية تحث على فضيلة من الفضائل، وتدعو إلى اكتساب الأخلاق فى أسلوب من الترغيب والترهيب[٣].

ولا شك أن الوعظ شكل من أشكال الخطابة له كل مظاهره من الارتجال والمشافهة وقوة التأثير والحرص على سلامة التعبير، وهو نمط طغى فى هذه المرحلة على أنواع الخطابة المختلفة، وقد شاع فى خطابة ذلك العصر السجع المعروف لدى أهل الأدب والذى طبع خطباء هذا العصر.

كانت مكانة الخطباء مساوية لمكانة الشعراء، وكانت ملكة الخطابة تعتبر شيئًا آخر مخالفًا للملكة الشعرية إلى درجة أن المؤرخين يذكرون بالإعجاب من يكون إلى جانب الإحسان فى الشعر بارع فى الرسائل والخطب.وكان هناك من وعاظ وخطباء العصرالغزنوي من يمتلك من روعة البيان وقوة التأثير ما يأسر به القلوب ويمتلك به زمام جمهور المستمعين، ومن هؤلاء الوعاظ الكثيرين الذين تم الإشارة إليهم قبل ذلك.

---

[١]. حربي أمين سليمان: النثر الفارسى والتأثير العربى فى العصرين السامانى والغزنوى، ص٥٣.

[٢]. الخطابة: كلمة عربية بمعني الخطاب، وهى الشعر المنثورالذي يحرك العواطف، ويوقظ الشعور ويثير النفوس وهى كالشعر تحتاج إلى الخيال والبلاغة. (أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٥٦)

[٣]إبراهيم على أبوالخشب:تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسي الثانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت)، ص٣٩١، ٣٩٩.

هكذا بلغ النثر قمة تطوره فى تلك الفترة لاتخاذه أسلوبا جديدا هو أسلوب النثر الفنى المتكلف، حيث صب الكُتَّاب أفكارهم فى قوالب جميلة من الألفاظ المزخرفة والمحسنات والاستعارات وما شابهها، بالإضافة إلى كثرة الاستشهادات المأخوذة عن النثر العربى.

الشـــعر[١]

تميزت تلك الفترة التي نتحدث عنها بكثرة الشعراء وتعدد آثارهم، والواقع أن تشجيع السلاطين والحكام والوزراء كان السبب الرئيسى الذى ساعد على رواج الشعر، إذ حاول كل حاكم أن يضم إلي بلاطه أكبر عدد ممكن من الشعراء والكتاب، وأخذ يجزل لهم العطاء حتي وصل بعض الشعراء إلي درجة كبيرة من الثراء، وقد سبق الحديث عن ذلك فى عوامل الازدهار الثقافى فى مدينة "غزنة".

تميز شعراء الفرس بأن ضم شعرهم كل ما فى جعبتهم من العلوم الإسلامية واصطلاحات التصوف والآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكل علم تعلموه كالفلك والطب، فالشاعرالفارسى كان ناثرًا عالمًا بأصول الدين وأحكام التصوف والتفسير والتأويل والتأريخ وعلم الكيمياء والرياضيات، وكل ما يمكن الإحاطة به من أنواع المعرفة التى ازدهرت في ظل الإسلام، وبالتالى لا يتيسر فهم ما يقولون من شعر تزاحمت فيه المصطلحات والإشارات إلا لمن كان راسخ القدم فى العلوم الإسلامية[٢].

---

[١]. الشعر:هوالكلام الموزون، ويمتاز فى صوته الذى يؤدى به، وموسيقاه التي يتضمنها، وتأثيره الذى يحدثه، وخياله الذى يحلق به فى الكون، ومعناه الذى يحمله. برويز تاتل خانلري: أوزان الشعر الفارسي، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٨م، المقدمة. إبراهيم على الخشب: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، ص٧٠.

[٢]. ذبيح الله صفا: تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنكى إيران، ص١٥٧. أحمد جاب الله شلبي: التعليم والتربية عند المسلمين، ص٢١٧.

Omar S. Pound: Arabic and Persian Poems in English ,١٩٧٠,p١٧.

والشعر الفارسى شعر متعدد الفنون والأنماط ويمكن تقسيمه من حيث قوالبه وأنماطه إلى فنون منها **القصيدة** [١]: هى قوام الشعر العربى، أخذها الفرس عن العرب [٢]، وهى تتحدث عن موضوعات كثيرة كالمدح والهجاء والرثاء والوعظ، وقد تأثر شعراء الفرس تأثيرًا كبيرًا بالطريقة التى كان ينشد بها العرب قصائدهم، وخاصة قصائد المديح والتى سارت على منوال القصائد العربية، فأخذ الشاعر يبدؤها بالنسيب وذكر الأطلال والرحيل حتى يصل إلى بيت الانتقال ثم ينتقل إلى الموضوع الأصلى وهو المديح [٣].

تعتبر القصيدة هي أهم صور النظم الشعرية، لذلك وضع الفرس لها بعض الخصائص والقواعد التى يسير عليها الشاعر ليصل بمنظومته إلى درجة الجودة، ومن هذه الخصائص أن تكون القصيدة:

مصرعة: أى يراعى الشاعر تقفية مصرعى البيت الأول من قصيدته[٤].

حسن الطالع: أى يكون مطلع القصيدة سهلًا عذب الألفاظ مما يجعل المستمع يمل إلي سماع القصيدة.

حسن التخلص: وهو الخروج من النسيب إلى موضوع القصيدة الرئيسي بطريقة حسنة لطيفة. **حسن الإعتذار:** وفيه يعتذر الشاعر بطريقة لطيفة عن قصور مدحه وعلو مقام ممدوحه. **الشريطة:** وهي ختم القصيدة بالدعاء، وفي القصائد الفارسية يدعو الشاعر

---

[١]. القصيدة: تكتب في سطور، كل سطر يتكون من نصفين بيت شعر، ويوجد اتفاق سجعي في بداية السطور، كما يوجد اتفاق فى آخر بيوت الشعر. إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ص٧٧.
Morrison: History of Persian Literature from The beginning of The Islamic Period to The Present Day,Brill,١٩٨١,p٧.

[٢]- Lapidus: A History of Islamic Societies,p١٢٧.

[٣]-Julie Scott Meisami: Medieval Persian Court Poetry,New Jersey ,١٩٨٧,p٤٠.

[٤] . محمد نور الدين عبد المنعم: دراسات في الشعر الفارسي حتى القرن الخامس الهجرى، القاهرة، دارالثقافة، ١٩٧٦م، ص١٨٧، ١٨٩.

Omar S. Pound: Arabic and Persian Poems in English , p١٥.

لممدوحه بدوام بقائه في شكل شرط، فمثلًا يتمني خلوده طالما استمر طلوع الشمس. وفى القصيدة بيت يسمي بيت القصيد، وهو البيت الذى تبنى عليه القصيدة، وليس من المفروض أن يكون أحسن بيت فيها[١].

المثنوى[٢]: من فنون الشعر الشائعة في الفارسية، والتى حاول فيها الفرس التخلص من قيود القافية، إذ أن القافية تكون فى جزئى البيت الواحد وتتغير بعد ذلك بتغير الأبيات، استعمل الفرس المثنوى فى موضوعات شعرية مختلفة وخاصة فى الحكايات والقصص البطولية [٣].

استعمل الفرس هذا الفن من الشعر تخلصًا من قيود القافية التى وضعها العرب، ومازال الفرس ينظمون فيه حتى الآن، أما العرب فلم يهتموا بهذا الفن كثيرًا، وخاصة أنهم كانوا قادرين علي نظم القصيدة ذات القافية الواحدة وساعدتهم فى ذلك اللغة العربية[٤]. ويرى البعض أن أول تجربة لهذا اللون من ألوان الشعر هى"شاهنامة الفردوسي"[٥]، والبعض الأخر يرى أن المثنوى نوع شعري فارسي قديم، وهو الذى ساعد على تطور الشعر الفارسى[٦].

---

[١]. سعيد نفيسى: تاريخ نظم ونثر در إيران در زبان فارسى، تابايان قرن دهم هجرى، تهران، ص٤٨. محمد نور الدين: المرجع نفسه، ص١٨٩.

[٢]. المثنوى: هو شعر يبنى علي أبيات مستقلة مصرعة، ويشتمل كل بيت علي مصراعين متفقين في القافية مستقلين في ذلك عن غيرهما. إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ص١١٩.

[٣]. إسعاد عبد الهادى قنديل: المرجع نفسه والصفحة.

[٤]. محمد نور الدين: المرجع نفسه، ص٢٥٣.

[٥]. أربرى: تراث فارس، ص٢٧٥.

[٦]. محمد نور الدين: المرجع نفسه والصفحة.

الرباعي[١]: يعتبر من ألوان الشعر الفارسى الذى له وزن فارسى بحت، انتشر هذا اللون بين جميع شعراء الفرس[٢]، وسمى رباعى لأنه يتكون من أربع شطرات، وهو من الأنواع المهمة فى الشعر الفارسى ومن أصعبها أيضًا، وذلك لأن الشاعر مقيد بوزن خاص، ولابد أن تتضمن تلك الشطرات الأربعة فكرة معينة ومعنى جديد[٣].

القطعة: هي قطعة من قصيدة كاملة انفصلت عنها لسبب من الأسباب، كما قد تكون وحدة قائمة بذاتها، أنشأها الشاعر من البداية ليصوغ منها غرضًا من الأغراض، وتركها كما هي دون إضافة أبيات أخري إليها. ولا تقل القطعة عن بيتين، ومن الشعراء الذين أنشدوا قطع فارسية، بالإضافة إلي قصائدهم الطويلة، الشاعر"سنائى الغزنوى"، ومن أمثال القطع التى قالها ما ترجمته: **.العالم لا يسكر والعاقل لا يشرب الخمر**

.لأن العالم لا يخطو بقدمه فى طريق المهانة أبدًا

.فعندما تشربها يبدو أمامك الناى كشجرة سرو

.وتبدو شجرة السرو كالناى[٤]

المسمط[٥]:استخدم الشعراء هذا الفن من فنون الشعر، حيث كان الشاعر يقسم قصيدته إلي أقسام كل قسم يتكون من أربعة أو خمسة أو ستة مصاريع، ولكل المصاريع

---

[١]. الرباعى:عبارة عن بيتين من الشعر يشتملان علي أربعة مصاريع تجرى علي وزن واحد وقافية واحدة، غيرأن المصرع الثالث قد يتفق مع المصاريع الثلاثة الأخري في القافية، وقد لا يتفق معها، فلا يشترط في الرباعي إلا تقفية المصاريع الأول والثاني والرابع. إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ص١٦٧. محمد محمدى: الأدب الفارسى فى أهم أدواره وأشهر أعلامه، ص١٧٨.

[٢]. أربرى: تراث فارس، ص٢٧٧.

[٣]. محمد نور الدين: دراسات فى الشعر الفارسى، ص٢٣٦.

[٤]. المرجع السابق، ص١٩٣.

[٥]المسمط:عبارة عن مصطلح عام يشمل جميع أنواع القصائد المركبة ويشبه ما عرف عن المغاربة بالموشح، حيث يقسم الشاعر قصيدته برمتها والغالب فيه أن يقسم البيت إلى أجزاء أو أشطر تتفق أوائلها

قافية واحدة، ماعدا المصرع الأخير، والمصاريع الأخيرة لكل قسم تتفق مع القافية ومع غيرها حتى آخرالقافية لعدد المصاريع التى يتكون منها المربع أو المخمس أو المسدس[١].

الخلاصة أن الشعر الفارسى كان متعدد الأنواع، متنوع الأغراض والموضوعات، وإذا أردنا أن نتخذ من موضوعه أساسًا لتقسيمه، نجد أنه ينقسم إلى الموضوعات التالية:.

(١) شعر القصور "شعر المديح"

هو ذلك النوع من الشعر الذى يقوم على المديح وأشعار المناسبات كالتهانى والمراثى والوصف.ويعد هذا النوع من أهم أنواع الشعر الفارسى، وقد بلغ هذا النوع أوج نضجه واكتماله فى العصر الغزنوى[٢] ، وذلك يرجع إلى رعاية الأمراء والسلاطين للشعراء، فكان الشعراء في مقابل ذلك يقومون بنظم القصائد فى مدح السلاطين والأمراء، كما كانوا مكلفين بنظم التهانى فى المواسم والأعياد والانتصارات ووصف المعارك والجيوش وميادين القتال فى أوقات الحروب، ووصف الاحتفالات ومجالس اللهو والشراب ومظاهر الطبيعية فى أوقات السلم[٣].

هذا النوع من أنواع الشعر نال اهتمام كبير فى تلك الفترة، وذلك لما فيه من علاقة نفعية بين المادح والممدوح، فالمادح ينال العطاء الجزيل من الممدوح، والممدوح ينال الشهرة والمجد بفضل شعر المادح[٤]. وظهر فى مدينة "غزنة" مجموعة من كبار الشعراء المادحين الذين خلدوا بمدائحهم أمجاد الدولة الغزنوية ومن هؤلاء:.

في الروه، كما تتفق أواخرها مع نظائرها في القصيدة برمتها والغالب فيه أن يقسم البيت إلي أربعة أجزاء، ثلاثة منها مسجعة والأخير جزء التقفية.علي الشابى:الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص٢٣٩.

[١]. محمد نور الدين: المرجع نفسه، ص٢٠٤.

[٢]-Julie Scott Meisami: Medieval Persian Court Poetry ,٤٠,٤١.

[٣].إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ص٣٦.

Claud Field: Perisan Literature,p٩٥.

[٤]- Julie Scott Meisami: Medieval Persian Court Poetry,p١٠.

"الفرخي"

هو"أبو الحسن على بن الجلغ السجستانى الفرخى"(ت٤٢٩هـ /١٠٣٧م) كان أكثر شعراء "غزنة" إبداعًا وتفننًا، انتقل إلي بلاط السلطان "محمود الغزنوى"حين سمع عن كرمه وعنايته بالشعراء، فعلا شأنه وأصبح من أرفع شعراء البلاط [١].

قام بتأليف كتاب فى البلاغة أسماه "ترجمان البلاغة"، يعتبر من النماذج الأولى لفن البلاغة فى اللغة الفارسية[٢].كان شاعرًا غنائيًا [٣] لأنه وقف شعره على المدح والغزل والطبيعة، وكان مثالًا يحتذيه الشعراء من بعده فى ميدان الغزل اللطيف والعواطف الرقيقة وأوصاف الطبيعة الجميلة والعشاق والممدوحين، فقد كان له مهارة فائقة في اختيار اللفظ والمعنى والتشبيهات اللطيفة، وكان يتجنب التكلف والتعقيد وتغلب على أشعاره البساطة[٤].

---

[١]ـ علي الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص٢٤٨. محمد عبد الحميد الحمد: حياة البيروني، ص٤٦. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٥٣٤.

Bosworth: The Development of Persian Culture under the Early Ghaznavids,p٣٨.

[٢].ذبيح الله صفا:المرجع نفسه والجزء، ص٥٣٩. استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٣١٨.

Arberry: Classical Persian Literature,p٥٨.

[٣].عرف الشعر الغنائي بأنه التعبيرعن الإحساس الشخصى بأوسع معانيه، الإحساس في هدوئه وعنفه وفي بساطته وعمقه وفي رقته وعظمته، وينبغى أن لا نحصر هذا الإحساس الشخصى فى المجال الرومانسي، بل يجب أن يعبر عن روح الشعب الذى يقاسمه كثيرًا من الجوانب، ويمكن حصر موضوعاته ببساطة في إحساس الفرد بالأشياء فى نفسه ومن حوله حياة وموتًا حبًا وكرهًا مدحًا وهجاءً وفخرًا تفاؤلًا وتشاؤمًا، وفى الأسرة والوطن والطبيعة. على الشابى: المرجع نفسه، ص١٨٧.

[٤].محمد محمدى: الأدب الفارسى، ص١٨٢.

كانت أعظم قصائد "الفرخي" تلك التى أنشدها فى عهد الغزنويين يمدح فيها السلطان "محمود"وأبناءه "محمدًا" و"مسعودًا"، وأخاه الأمير"محمد"ووزراءه وندماءه [١]، ومنها في مدح الأمير"محمد":.

كـان للمـــــلوك من الدنيـــا أربعة مختارة من الخصـــال

ضربة الصولجان، ووفرة الطعام، وقوة الطعان، وخفة النضال

فزاد عليها محمد بن محمود أربعة أخرى بتوفيق ذى الجـــلال

حفظ العهود، وصون الحقوق، ورعاية الدين، وصدق المقال[٢]

وله كذلك قصيدة في رثاء السلطان "محمود" تعتبر من عيون الشعر الفارسى، ترجمها "البيروني" إلى العربية بشعر فصيح فُقِد، وهذه ترجمة حديثة لها:.

.لم تعد مدينة "غزنة" كعهدي لها من عام مضي، فمادها هذا العام

.أرى ربوعًا حافلة بالنواح والعويل

.أرى شوارعها مليئة بالناس وأبواب الحوانيت مغلقة

.وأرى قصورها مهجورة من ذوي المهابة

.إن الملك محمود يتناثر في جوف الثري كالمسك مهجورًا، آه.... ويالللفجيعة

.أن أري خلاء منه قصر محمود ذلك المنزل الحافل بالنقش والتهاويل

.قم أيها الملك، فكل قد سبق للعرض، ألفان من الفيلة، من وراء قصرك وحديقتك

.إنك علي سفر طويل، أمامك هذا العام، سفر لا حد له ولا ساحل[١]

---

[١]. ذبيح الله صفا: المرجع نفسه والجزء، ص٥٣٨. استاد خليلى:المرجع نفسه، ص٧٩، ١١٨، ١٥٧، ٣١٥.

[٢].رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص٤٥.

له أيضًا ديوان يحتوى على مائتين وثلاث عشرة قصيدة، ومن أروع قصائده إلي جانب ما ذكرناه قصيدة "فتح سومنات"[٢].

"العنصرى"

هو"أبو القاسم الحسن بن أحمد العنصرى"(ت٤٣١هـ/ ١٠٣٩م) أستاذ فن القصيدة الأول في الشعر الفارسى، وشاعر السلطان "محمود" الذى وقف شعره علي مدحه ووصف حملاته وغزواته فخلد بذلك ذكر هذا السلطان[٣]. ويعتبر من كبار شعراء المديح فى العصر الغزنوى[٤].ولد ببلخ ثم تركها وذهب إلى غزنة[٥] وأصبح نديمًا للسلطان"محمود"، وظل ينظم أشعارًا فى مدح السلطان محمود وأخيه الأمير نصر وابنه مسعود، حتى أن السلطان محمود منحه لقب"ملك الشعراء"فى بلاطه، ومن ثم جرى العرف بين الشعراء على أن يعرضواعليه شعرهم حتى يميز بين رديئه وجيده قبل أن ينشده الشاعر فى حضرة السلطان[٦].

كان من أصحاب اللسانين الفارسي والعربي، وقصائده كلها تدل علي مدي اتساع معرفته اللغوية بهذين اللسانين، كما كان أول من روج قصائد المناظرة علي طريقة السؤال والجواب. ترك "العنصري" ديوانًا يتكون من ثلاثة ألاف بيت حافلًا بالقصائد في مدح

---

[١]. محمد عبد الحميد الحمد: حياة البيرونى، ص٤٧.

[٢]. استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٩٠. أركين رحمة الله يف. عبد الله يولداشيف: الحضارة الإسلامية في تاجيكستان، ص٨٩.

[٣]. إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ص٨٠. محمد محمدى: الأدب الفارسى، ص١٨٢.

[٤]-Claud Field: Persian Literature ,pp٩٥,٩٦.

[٥]. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٥٥٩.رضا زاده شفق: المرجع نفسه، ص٤١.
Bosworth: The Development of Persian Culture under the Early Ghaznavids ,p٣٨.

[٦]. على الشابى:الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص٢٤٠. استاد خليلى: المرجع نفسه، ص ٣١٠
Julie Scott Meisami:Medival Persian Court Poetry ,p١١.
Claud Field: Op,cit,p٩٦.

السلطان "محمود" وقواده[١]، وله قصيدة سجل فيها غزواته يزيد عدد أبياتها على مائة وثمانين بيتًا[٢]. وفيما يلى أبيات "للعنصرى" فى مدح السلطان "محمود":.

.أنت محمود العمل ومحمود الاسم، وأنت محمود المثل ومحمود الروح

.الزمان قلب وأنت له الضمير، والعظمة جسد وأنت لها الروح

.الشيء الذي لا تملكه لا يكون إلا عيبًا، والشيء الذي لا تعرفه لا يكون إلا غيبًا

.لست أرضيًا ولكنك افتخار للأرض ولست زمنيًا ولكنك افتخار للزمان

.ولست فلكًا ولكنك مرشد للفلك، ولست دنيويًا ولكنك سيد الدنيا

.أنت الجمال لدولة الأكاسرة، وأنت الأمان لأمة العرب[٣]

كانت طريقة "العنصرى"فى قصائده غالبًا بأن يبدأ القصيدة بمقدمة في وصف الطبيعة، ثم يشرع في الغزل وبعد ذلك ينتقل إلي مدح الممدوح، ومن هنا تشتبك إفادته للفن والتاريخ معًا، حيث يجد فيها المؤرخ حقائقه وتفصيلاته، كما يجد فيها الفنان دقة المعني ورقته وجمال الأسلوب وبساطته، وحسن تراكيبه اللغوية ومهارته في ملاءمة العبارات، وبعمق تفكيره وسعة خياله وقدرته على بيان المضامين والمعانى الجديدة، وانتهاجه منطقًا شعريًا خاصًا[٤].

"منوجهرى"

هو"أبو النجم أحمد بن قوس بن أحمد المنوجهرى الدامغانى"(ت٤٣٢هـ/١٠٤٠م)، يعتبر أحد أعمدة الشعر في العصر الغزنوى، ومع أنه عاصر السلطان "محمود" إلا أنه لم

---

[١].ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٥٦١. استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٣١٠.

[٢].إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ص٨١، ٨٢.

[٣].المرجع السابق، ص٣٧١.

[٤].محمد محمدى: الأدب الفارسى، ص١٨٢. على الشابى: الأدب الفارسي في العصر الغزنوى، ص٢٤١.

يعد في زمرة شعراء عصره، لأنه قدم إلى"غزنة" سنة(٤٢٦هـ/١٠٣٤م)، وعلي ذلك يعد "منوجهرى" شاعرًا معروفًا فى عصر السلطان "مسعود" لأن أغلب قصائده في مدح هذا السلطان ووزرائه وأمراء دولته[١].

حين اعتزم الرحيل إلى"غزنة" كانت شهرته قد سبقته، فقد أراد السلطان "مسعود" أن يستقدمه ليشاركه فى الحركة الشعرية التى غمرت بلاطه، والذى دفعه لذلك مدائح "منوجهرى" في السلطان"مسعود" والتي تعتبر من غرر ما قيل فيه، ومنها قصيدته "در مدح سلطان مسعود غزنوى"، والتي مطلعها ما ترجمته:.

.يا عظيم خراسان وشاهنشاه الطرق يا من يدين له الملوك بالطاعة

قضي "منوجهرى" أعذب فترات حياته وأكثرها خصبًا وإنتاجًا فى"غزنة"، وقد ساعده على ذلك رعاية السلطان الوافرة، والتنافس الشعرى الذى غمر بلاطه [٢]، وطبيعة "غزنة" الساحرة حيث أنها تميزت بكثرة الحدائق والتى تأثر بها الشعراء فى إنتاجهم الأدبى[٣].

ولمنوجهرى ديوان يحتوى على سبع وخمسين قصيدة وأحد عشر مسمطًا وعشرين قطعة وستة رباعى[٤]، وهو مبتكر النمط الشعرى المعروف بالمسمط، ولم يقف عند تجزيئته الغالبة بل تجاوزها فى كثير منه إلى جزئين آخرين لتصير ستة أجزاء الأخير منها جزء التقفيه، وكان ولعه بالمسمط شديدًا فقد نظم على منواله إحدى عشرة قصيدة تختلف تجزئتها كمًا، وظل المسمط نمطًا يحتذيه الشعراء من بعده[٥].

يعتبر شعر منوجهرى خطوة فاصلة بين بساطة الشعر الفارسى فى العصر السامانى والعصر الغزنوى وبين تصنع الشعر السلجوقى وتعقيده، كما أنه تبحر فى اللغة العربية ولم

---

[١]. محمد العمادى: خراسان فى العصر الغزنوى، ص٣١٩. ذبيح الله صفا:المرجع نفسه والجزء، ص٥٨٢.

[٢]. على الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص١٨٦.

[٣]. استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٣٥٩.

[٤]. أركين رحمة الله يف. عبد الله يولداشيف: الحضارة الإسلامية فى تاجيكستان، ص٨٩ .

[٥]. على الشابى: المرجع نفسه، ص٢٣٩.

يسلك سبيل بعض المعاصرين له من الاقتصار على اقتباس المعنى أو الأسلوب فقط، بل كان يستعمل أحيانًا الألفاظ العربية الغريبة والتراكيب النادرة [١].

لم يكن منوجهرى ماهر فى الشعر فقط، بل كان على معرفة بالعلوم فيذكر فى إحدى قصائده أن له معرفة بعلوم الدين والطب والنحو، تلك الثقافة مكنته من استخدام معلوماته التاريخية والعلمية والدينية فى تدبيج صوره الشعرية حيث كان يبرز ذلك كله فى قصائده [٢].

أما الموضوعات التى استأثرت أغلب ديوانه إن لم يكن كله فهى المدح والطبيعة والانطلاق. الحب و الخمر والجمال. وكانت أغلب مدائحه وقفا على السلطان "مسعود" وهى علاوة على طابعها المدحى تمثل وثائق تاريخية هامة، اهتمت بتسجيل حياة السلطان "مسعود" ووقائعه مع السلاجقة بدقة، من هنا تستمد أهميتها ليستفيد منها الأديب والمؤرخ.

ومن شعره فى مدح السلطان مسعود ما ترجمته:.

. أيها الملك الشهير كالنجمة العالية إلى متى وأنت فى القصر، أحضر إلى الحديقة فإن عيد النوروز قد حضر

. البستان يحرق عوده فأحرق أنت الألم، واليمامة توقع على الناى فوقع أنت على الطنبور

. بفضل علم هذا الملك العادل وفطنته، لا يوجد فى ملكه لو كلمة واحدة خافية عنه

. إن نصف الدنيا ملك له ولن يسر إلا إذا أخضع النصف الثانى

. صار الشرق كله له، والمغرب كله سيكون له، فمن كان له الشرق لن يكون المغرب إلا له

---

[١]. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص٤٨. استاد خليلى: المرجع نفسه، ص٣٢٤.

[٢]. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٥٨٢.

أما بالنسبة للطبيعة فقد احتلت جزءًا كبيرًا من ديوانه، فقد آسرته الطبيعة فهام بها ووقف عند وصفها طويلًا، وقد بلغ من دقة الوصف والإطالة فيه ما لم يبلغه أحدًا قبله، إذ كان يقف فى وصف الربيع عند كل شجرة وكل طير ويصفها جزءًا جزءًا فى تشبيهات بديعة، وعلاوة علي هذا التدقيق فإنه كان يجسم المناظر الطبيعية تجسيمًا يضفى عليه من إحساسه الحركة والحياة، ومن ذلك تشبيه للنرجس فى ساقه الجميلة وبياض خارجه وإصفرار داخله بالحور التى تحمل على رؤوسها أطباقًا فضية عليها كؤوس من الذهب الخالص، فيقول ما ترجمته:.

. فالنرجس يشبه الحور وهى تحمل على رؤوسها أطباقًا فضية وفوق هذه الأطباق كؤوس من الذهب الخالص[١]

خلاصة القول أن شعر الطبيعة عند "منوجهرى" يعتبر من أروع ما قيل في الشعر الفارسى، حيث تتمثل فيه طبيعة المكان الساحرة بكل فنونها أصدق تمثيل، وقل أن نجد ديوانًا فارسيًا يرد فيه هذا القدر من أسماء الثمار والورود والطيور.

"العسجدي"

هو"أبو نظرعبد العزيز بن منصور المروزى"(ت٤٣٢هـ/١٠٤٠م)[٢]، كان معاصرًا "للعنصرى"، ومع كونه شاعر السلطان "محمود" ويرافقه في فتوحاته، وينظم له القصائد في مديحه وانتصاراته، إلا إنه لم يلق الجاه والعظمة كما لقيه أستاذه "العنصرى" من قبل السلطان. ينسب إليه ديوان من الشعر، يقال أنه يضم ثلاثة آلاف بيت، لكن لم يبق منه سوى بعض القصائد المعدودة والتى يظهر منها أنه كان ماهرًا فى الوصف والتشبيهات[٣].

يؤثر عنه قصيدة قيمة يمتدح فيها فتح "سومنات" مطلعها:.

---

[١].علي الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص١٨٩: ١٩٣، ٢٠٣: ٢٠٥.

[٢].ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٥٧٧.

[٣].رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص٤٣.

منذ أن سافر المليك إلى سومنات، جعل أفعاله علمًا للمعجزات[١]

"أبو الفرج الروني"

من مشاهير شعراء العصر الغزنوي، وأغلب قصائده في مدح السلطان "إبراهيم بن مسعود"، وولده "مسعود"[٢]، كان معاصرًا "لمسعود سعد سلمان"، وكان الاثنان يعيشان في بلاط الأمير" سيف الدولة محمود" فى الهند، وكانت بينهما رسائل شعرية كثيرة[٣].

"مسعود سعد سلمان"

من كبار شعراء النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والنصف الأول من القرن السادس الهجري، عاصر السلطان "إبراهيم الغزنوي"، وأحيانًا كان يصاحب الأمير"سيف الدولة محمود بن إبراهيم"، والذى أصبح واليًا على الهند سنة(٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، رحل "مسعود" إلي بلاطه وأصبح ملازمًا له حتى سنة(٤٨٠هـ/١٠٨٧م)، وبمرسوم من السلطان "إبراهيم" حبس ابنه "سيف الدولة محمود" وشاعرنا "مسعود سلمان"، ومكث في الحبس سبع سنوات في قلعة "دهك وسو"، وثلاثة سنوات في قلعة "ناي"[٤]وتم الإفراج عنه سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٥) أو سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٦م)، وبعد وفاة السلطان "إبراهيم"سنة (٤٩٢هـ /١٠٩٨م)أودع السجن مرة أخري، وقد سجن هذه المرة في قلعة "مرنج"، وهي إحدي القلاع الشهيرة في ذلك

---

[١]. ذبيح الله صفا: المرجع نفسه والجزء والصفحة. استاد خليلي: سلطنت غزنويان، ص٩٨، ٣٢٠.

[٢]. نظامي العروضى: جهار مقالة، ص١٢٢. استاد خليلى: المرجع نفسه، ص٣٢٩.

Bosworth: The Later Ghaznanavids, p٥٦.

[٣]. طلعت محمد أبو فرحة: مسعود سعد سلمان، ص٢٢٨.

Arberry: Classical Persian Literature ,p٢٠.

[٤]. عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر، ج٢، ص١٥١. نظامي العروضى: جهار مقالة، ص١٢٢. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات درإيران، جلد دوم، ص٤٨٨:٤٨٣.

العصر[١]، وقد ظل فى هذا السجن قرابة ثمانى سنوات ثم أفرج عنه سنة (٥٠٠هـ /١١٠٦م)[٢].

بذلك أمضى "مسعود سعد سلمان" زهرة شبابه في السجون، ولما فك اعتقاله أدركته الشيخوخة، لذلك زهد فى خدمات الدولة وأمضى بقية حياته معتزلًا حياة البلاط، وأدركته الوفاة فى "غزنة" سنة(٥١٥هـ / ١١٢١م)[٣].

نشأ شاعرنا نشأة أدبية وتأثر تأثرًا كبيرًا بشخصية أبيه الأدبية، والتى كان لها أثرها فى تكوين الملكة الشعرية والذوق الأدبى لديه، ويبدو من أشعاره أن الشاعر كان ذا ثقافة واسعة في شتى المعارف والعلوم التي كانت سائدة فى عصره، وهذا أمر ضرورى لكل شاعر كبير، فهذه الثقافة الواسعة كانت تسعفه بإيراد التشبيهات والأمثلة والصور اللازمة للمواقف التى يتعرض للنظم فيها وتجعل مادته غزيرة ومعانيه فياضة، وهذا ما تحقق لهذا الشاعر.

أما عن ثقافته الدينية فإن شعره وما حفل به من إشارات إلى قصص القرآن تدل على أنها كانت واسعة شاملة، ومن ذلك إشارته إلى قصة سيدنا "نوح" فيقول فى ذلك:-

. سفينة السلطان جارية فوق الماء مثل سفينة نوح، وقد عم الطوفان الأرض من فعله سيفه الحاد[٤]

---

[١]. نظامي العروضى: جهار مقالة، ص١٢٣.عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله إيران، ج٣، ص٤٦. طلعت محمد أبو فرحة: مسعود سعد سلمان، ص١٦٠.

[٢]. عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر، ج٢، ص١٥١. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص٨٦.

Bosworth: The Later Ghaznanavids,p٧٤:٧٧.

[٣].رضا زاده شفق: المرجع نفسه والصفحة. طلعت محمد أبو فرحة: المرجع نفسه، ص١٧٠.

[٤].طلعت محمد أبو فرحة: المرجع نفسه، ص٩٨، ١٨٤.

فالشاعر كان شديد الرغبة فى التزود بالعلم والمعرفة، وكان يرى أن العلم والفضل لا يجتمعان مع الجاه والمال، كما كان يرى أن العلم والفضل هما سر البلاء والآلام لأصحابهما في هذه الدنيا. وثقافته الواسعة وعبقريته الشعرية كانتا الدافع وراء ثقة الشاعر واعتداده بنفسه، بل كان شديد الفخر بعبقريته وبراعته فى الشعر، وفى ذلك يقول ما ترجمته:.

.يكون مناسبًا ولائقًا لو أننى أفخر علنا، وعلى ذلك الذى يسعى وراء الفخر فى الخفا

.فأنا ذلك الذى لا يرى شخصى قط مثيلًا لى، وفى طلاقة اللسان بين العجم والعرب

.فلو تظهر مشكلة سواء فى النظم والنثر، فإن الزمان يطلب منى شرحها وتفسيرها

.ولقد أصاب فلكى التوفيق وبلغت الذروة، بهاتين اللغتين في ميدانهما

.فروح "الرودكي" و"ابن هانئ" تسجدان أمام فكرى وخاطرى إعظامًا وإجلالًا[١]

و"لمسعود سعد" ديوان يزيد عدد أبياته عن ستة عشرألف بيت[٢]، وقد قام بجمع هذا الديوان الشاعرالكبير"سنائى الغزنوى"، وذلك أثناء حياة "مسعود"، وبذلك حفظ لنا أشعاره من الضياع[٣]، ويضم ديوانه جميع أغراض الشعرمن مدح وهجاء ورثاء وفخر وغزل وإخوانيات، وغير ذلك من العادات والتقاليد التى كانت سائدة فى ذلك العهد، بل نجده يتعرض لبعض الآراء الفكرية والفلسفية والتصوف الذى كانت سوقه رائجة فى عهده، فيأخذ من كل بسبب، ويخرج لنا فى النهاية صورة واضحة المعالم لإنسان عاش فى ذلك العصر بأحداثه وأفكاره[٤].

فلننظر الأن إلى كل من هذه الموضوعات على حدة لنقف على الحقيقة التى ننشدها:

---

[١]. طلعت محمد أبو فرحة: مسعود سعد سلمان، ص١١٩.

[٢]. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٤٩٠.

[٣]. نظامي عروضي: جهار مقالة، ص١٢٤.

[٤]. ذبيح الله صفا: المرجع نفسه والجزء، ص٤٨٣. طلعت أبو فرحة: المرجع نفسه، ص٢٤٣.

كان "مسعود سعد" من شعراء البلاط الغزنوى، عاصر العديد من سلاطين تلك الدولة، لذلك كان المديح يمثل الصبغة العامة لأشعاره والجانب الأكبر من إنتاجه الشعرى، فشعر المديح فى ذلك العصر هو جواز المرور إلى القصور وإجازة الحصول على الشهرة والجاة، فكانت دوافع الشاعر فى المرحلة الأولى من حياته من أهم عوامل إتقانه وإجادته لفن المديح، لذلك نظم قصائده فى المديح محاولًا أن يشق طريقه إلى القمة.

ومن شعره فى مدح السلطان "بهرامشاه" ما ترجمته:.

.الحمد والمنة لله أن الزمان على ما نشتهى ونحب، واليوم هو يوم الحظ والإقبال فلا شئ يعكر صفونا

. فنحن نتقلب فى العدل ونخطو فيه فقد إختار طرق العدل، المليك الذى لا يفضل الملوك جميعًا غيره

. هو السلطان يمين الدولة "بهرامشاه"، وهو المليك الذى لا قرين له بين الملوك على مر الزمان[١]

أما بالنسبة للحبسيات. القصائد التى نظمها أثناء وجوده فى السجن. فقد بلغت درجة كبيرة من العلو والرفعة، وتلك الحبسيات أرسل بها إلى السلاطين معتذرًا وإلي الوزراء شاكيًا مما يعانيه من آلام ومتاعب متوسلًا بهم لدى السلاطين للحصول على حريته[٢].

وكان لطول الفترة التى قضاها الشاعر فى تلك القلاع وسط الآلام والوحدة والبعد عن الأهل أبعد الأثر في إنتاجه الشعرى كمًا وكيفًا، فنجد الحبسيات أكبر الموضوعات حجمًا بعد المديح، ومن ذلك قوله للسلطان "إبراهيم بن مسعود"(٤٥١: ٤٩٢هـ/١٠٥٩: ١٠٩٨م)ما ترجمته:.

---

[١]. طلعت أبو فرحة: المرجع نفسه، ص٣١، ٢٤٣، ٢٤٧ . رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص٨٦.

[٢].ذبيح الله صفا: المرجع نفسه والجزء والصفحة.

. يا مولاى العظيم الآن وقد انقضى ما يقرب من عشر سنوات، وروحى تتناقص من الغم والهم والحزن

. فوجهى قليل منهك من خمش أظافرى وصدرى أزرق من ضرب يدى، وقلبى محترق مما به من نار وجسمى نحيل مثل الشعرة النحيلة [١]

أما الموضوع الثالث الذى نظم فيه كثيرًا من أشعاره هو الوصف، وهذا الموصوف يشمل كثيرًا من الأشياء مثل الطبيعة فى فصول السنة المختلفة ووصفه للقلاع والسجون، كما انتقل فى أخريات حياته إلى وصف فئات المجتمع المختلفة وأفراده بحرفهم وصناعاتهم.

ومن ذلك وصفه للخريف:.

. لقد اتجهت رياح الخريف إلى البستان، فقلبت وضع الدنيا وجعلته مختلفًا

. فجعلت الغصن منحنيًا مثل القوس، وأطلقت البرد من مكمنه [٢]

كذلك نظم كثيرًا من أشعاره فى مناسبات تاريخية مثل تاريخ جلوس بعض السلاطين أو قيامهم ببعض الفتوحات أو توليه بعض الأمراء حكم بعض الولايات، فقد تحدث عن فتوحات الأمير"سيف الدولة محمود" فى بلاد الهند بحيث تمثل أشعاره وأشعار الشاعر المعاصر له "أبو الفرج الرونى" المرجع التاريخى الوحيد فى هذا الصدد[٣].

فضلًا عن ذلك كان "مسعود سعد" يجيد اللغة العربية، وقد نظم فيها شعرًا[٤]، وقد أكثر الشاعر من الإشارة إلى هذا الجانب، وهو معرفته للغة العربية والفارسية وفى ذلك يقول:.

---

[١]. طلعت أبو فرحة: مسعود سعد سلمان، ص٢٥٥. أركين رحمة الله يف. عبد الله يولداشيف: الحضارة الإسلامية في تاجيكستان، ص٨٩.

[٢]. طلعت أبو فرحة: المرجع نفسه، ص٢٦٩، ٢٧٣.

[٣]. المرجع السابق، ص٢٩٩.

[٤]. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٤٩٠.

. لقد أعطى لسان الدولة العالية لعبدك رسالة، يقول فيها يا من إنقادت لك اللغتان الفارسية والعربية

. عندما تثنى على السلطان بهذين اللسانين العذبين، يكون لك الثناء فى الدنيا من الخاص والعام[١]

ومن أشعاره باللغة العربية:.

. يعيبوننى أنى أقول مغاضبًا حبيبى عندى حبه قيمة الحب

. بلى قيمة المعشوق عندى حبة ولكنما أعنى بها حبة القلب[٢]

وينسب إليه أيضًا أنه قام بتلخيص "شاهنامة الفردوسي" ودون هذا التلخيص فى كتاب باسم "اختيارات الشاهنامة"، ومهما يكن من قيمة هذا العمل، فهو يحتاج لأستاذية كاملة وتفوق كبير فى الشعر الفارسى، ويحتاج إلى ذوق ناقد فذ متمكن يستطيع أن يختار من بين أشعار "الشاهنامة" بعضًا ويدع البعض الآخر[٣].

"سيد حسن الغزنوى"

"هو أشرف الدين أبو محمد حسن بن محمد حسينى الغزنوى[٤]، سيد الشعراء كان معاصرًا للشاعر"سنائى الغزنوى"والشاعر"مسعود سعد سلمان"[٥]، من شعراء

---

[١]. طلعت أبو فرحة: المرجع نفسه، ص١٩٨.

[٢]. عماد الدين الأصفهاني: خريدة القصر، ج٢، ص١٥١.

[٣]. طلعت أبو فرحة: مسعود سعد سلمان، ص٢٣٦.

[٤]. محمد كامكار بارسى:رباعى ورباعى سرايان از اغاز تا قرن هشتم هجرى، به كوشش إسماعيل حاكمى، تهران، ١٣٧٢هـ، ص.١١٦.

[٥]. أسفزارى: روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات، ص١٦٣.

عصرالسلطان "بهرامشاه"(٥١٢: ٥٤٧هـ /١١١٨: ١١٥٢م)وهو من الشعراء العظام الذين مدحوه [١]، وفى يوم جلوس بهرامشاه على عرش "غزنة" نظم قصيدة مطلعها:.

ـ جاء النداء من السماء السابعة، أن بهرامشاه هو ملك العالم[٢]

له ديوان يحتوى على موضوعات مختلفة ومتعددة من الشعرمن مدح ورثاء ووعظ وغزل [٣]، توفى سنة(٥٥١هـ /١١٥٦م)[٤].

"المختارى الغزنوى"

هو "أبو المفاخرسراج الدين عثمان بن محمد المختارى الغزنوى"(ت٥٥٤هـ/١١٥٩م)، يعد من كبار شعراء القصائد فى القرن السادس الهجرى، عاش فى عصر السلطان "إبراهيم بن مسعود"(٤٥١: ٤٩٢هـ/١٠٥٩: ١٠٩٨م)، والسلطان "مسعود بن إبراهيم"(٥٠٨:٤٩٢ هـ/١١١٤:١٠٩٨م)، وقام بمدح هؤلاء السلاطين [٥]، وكان أستاذًا فى قرض الشعر فى جميع فنونه، كان محل تقدير الشعراء الآخرين المعاصرين له، دعاه "سنائى" بالأستاذ ويبلغ ديوانه قرابة ثمانية آلاف بيت[٦].

(٢) شعر الملاحم

---

[١]. سليم نيسارى: تاريخ أدبيات إيران بعد إز إسلام، ص٧٢.

[٢]. استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ٢٦٠.

[٣]. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٥٩٢.

[٤]. ميرخواند: روضة الصفا، ص١٧٢. عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٢٠٥.

[٥]. ذبيح الله صفا: المرجع نفسه والجزء، ص٥٠١. استاد خليلى: المرجع نفسه، ص٣٣٧.

[٦]. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص١١٧. ذبيح الله صفا: المرجع نفسه والجزء، ص٥٠٣.

الشعر الملحمى من أقدم الموضوعات التى بدأ بها الأدب الفارسى نثره وشعره، وكان هذا راجعًا إلى رغبة الفرس فى إحياء أمجادهم القديمة وإحياء تراثهم القومى والحضارى الذى فقدوه بالفتح الإسلامى لبلاد فارس [١].

والملحمة بصفة عامة مجموعة من أعمال البطولة لفرد أو جماعة، تكونت منها رواية مترابطة الأجزاء كاملة غير مبتورة تبدأ من نقطة وتنتهى عند غاية، وعمل الشاعر لحم أجزائها ونظم وقائعها دون التدخل فيها أو توجيهها، فهو يعرض أحداثها عرضًا فنيًا ويصف مشاهدها وصفًا شاعريًا، يستولى على النفوس ويستهوى الأفئدة ويلذ الأسماع من غير أن يمس جوهرها أو يبتعد بها عن أصلها.

ومن خصائص الملاحم مرور أحقاب طويلة بين وقوع أحداثها ونظمها، ومع بعد المسافة بين عصرى أبطال الملحمة وناظمها، فإنه لابد من وجود مشتركات عامة بين العصرين يتحقق بها وجودها ويكتب لها البقاء، فالعقائد والأفكار والإحساسات التى كانت سائدة فى عصر الأبطال ينبغى أن لا تكون قد انتهت كلها فى عصر نظم الملحمة وأخذت غيرها مكانها، وإلا انعدم التجاوب بين الشاعر والجماهير فلا تعيش ملحمته طويلًا. وليست الملحمة مجرد سرد لأعمال البطولة ووصف لمشاهد الحروب والإشادة بالأبطال فقط، بل هى كذلك معرض لعقائد الأمة وأفكارها وأخلاقها[٢].

عرفت كتب الملاحم فى الأدب الفارسى بالشاهنامات أى كتب الملوك التى تحتوى على أخبار الملوك وبطولاتهم وما قدموه من مفاخر تعتز بها أوطانهم، وعلى هذا فكل كتاب يحمل في اللغة الفارسية اسم "شاهنامة" يكون ملحمة حماسية[٣]، والشعر الحماسى يجب أن

---

[١]. السباعى محمد السباعى: النثر الفارسى منذ النشأة حتي نهاية العهد القاجارى، دار الثقافة، ١٩٨٧م، ص٤٦.

[٢]. أمين عبد المجيد بدوى: القصة فى الأدب الفارسى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م، ص٩٨.

[٣]. بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسي، ص١٨٩.

يكون له مادة من الأساطير تجعل جوه مليئًا بآثار القدم تجول فيه الآلهة والأبطال بعواطفهم الكبيرة وأعمالهم العظيمة محاطين بهالة من الخيال[١].

ويعتبر"أبو القاسم الفردوسى" أعظم شاعر ملحمى عرفه المسلمون، وتعتبر"شاهنامته" معلمًا من معالم الأدب الفارسى والإسلامى على السواء[٢]، وهو فى نظر شعبه الشاعر الفذ الذى لا يسمو إلى مرتبته شاعرًا آخر، ومازالت أشعاره تطرب لها آذان الفرس وقلوبهم منذ أكثر من ألف عام.

و"الفردوسى"هو"أبو القاسم منصور بن حسن الطوسى"(ت٤١١هـ/١٠٢٠م) نظم معظم "الشاهنامة" بين سنتى(٣٨٧هـ/٩٩٧ م، ٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، وإن كان قد شرع فى النظم قبل ذلك بعشرين سنة[٣]، نظمها في عهد "أبي منصور محمد" والي خراسان، وهيأ له هذا الوالي أسباب الحياة مما جعله في غني عن سؤال غيره، أخذ الشاعر في المضي في النظم وأخذ الناس يتناقلون ما نظم من قصص وأصبح "الفردوسي" ذائع الصيت في كل مكان، ثم سعي الشاعر إلي السلطان "محمود" بعد أن فقد "أبا منصور" لأنه كان في حاجة إلي معين له، ومثل هذا العمل الأدبي الضخم يتطلب مالًا كثيرًا، وقد نصحه "أبو منصور" قبل وفاته أن يهدي كتابه إلي الملوك فهم أقدر الناس علي تقديره، لذلك رحل إلي بلاط السلطان "محمود" في "غزنة" وقدم إليه شاهنامته، فقبلها السلطان "محمود" غير أنه لم يلق تقديرًا منه يليق بمكانته، حيث سأل السلطان "محمود" جماعة ماذا نعطي "الفردوسي" علي هذا العمل؟ قالوا خمسين ألف درهم، بل هذا كثير لأنه رافضى معتزلى[٤]، فما كان من

---

[١]. محمد محمدى: الأدب الفارسى، ص٢٢٧.

[٢]. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٤٥٨.

Hill and Olege Grabar: Islamic Architecture and its Decoration , London ,١٩٦٧,p٣٣.

G. H. Rawlinson: India, A Short Cultural History ,p٢٠٩.

[٣]. الفردوسى: الشاهنامة، ص٥٤.

[٤]. نظامى العروضى: جهار مقالة، ص٥٦. بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٧٠.

السلطان "محمود" إلا وأرسل "للفردوسي" عشرين ألف درهم، فكان هذا المبلغ لا يتناسب مع الجهد الذى بذله هذا الشاعر[١].

أما السبب فى إعراض السلطان "محمود" عن "الفردوسى"، هو وشاية بعض رجال السلطان عندما اتخذوا من بعض أبياته ذريعة لإتهامه بالاعتزال، لاتباعه آرائهم فى أن رؤية الله سبحانه بالعين غير ممكنة، إذ يقول:. **إنك لن ترى الخالق بعينك فلا تجهدهما؟**

وكان السلطان مخالفًا لمذهب المعتزلة مضطهدًا لأصحاب كما ذكرنا من قبل، وهناك سبب آخر أن الشاعر فى ملحمته الخالدة كان يمجد ملوك الفرس الوثنيين، ولم يكن هذا مقبولًا لدى السلطان الذى يعتبر نفسه محطم الأصنام وحامى حمى الدين والسنة، ولم يكن هذا مقبولًا أيضًا لدى رجال الدين بدليل أنهم رفضوا دفن "الفردوسى" فى مقابر المسلمين[٢]. فالأسباب كانت إذن دينية مذهبية وليست أدبية فنية.

بعد هذا الجفاء غادر "الفردوسى" "غزنة" قاصدًا "هراة"، فلما أمن نفسه من السلطان "محمود" لجأ إلى ملك طبرستان "رستم بن شهريار"(٣٦٩: ٤١٩ هـ/٩٧٩: ١٠٢٨م) والتقى به قائلًا:سأحول هذا الكتاب من اسم "محمود" إلى اسمك فإن هذا الكتاب كله أخبار أجدادك ومآثرهم، ولكن هذا أخذ يهدئ من روعه "الفردوسي" مندفعًا بعطفه عليه وحبه للعمل الرائع الذى قام به، فعزم علي أن يمنحه بعض المال ليكون عونًا له، فهو لا يستطيع أن يأتي بعمل يغضب السلطان، و"الشاهنامة" التى لم يقدرها "محمود" لا يستطيع هو أن يبدى إعجابه بها[٣].

---

[١].نظامى العروضى: المصدر نفسه، ص٥٧. رسول جعفريان: الشيعة في إيران، ص٣٠٦.
Lane Poole:Mediaeval India Under Mohammedan Rule (A.D.٧١٢-١٧٦٤) ,p٣٠.

[٢]. الفردوسى: المصدر نفسه، ص٥٧. محمد الرفاعي: الخلافة العباسية، ص٢٠٦.علي الشابى: الأدب الفارسي في العصر الغزنوى، ص٧٣. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص٥٦.

[٣].نظامي العروضي: المصدر نفسه والصفحة. رسول جعفريان: المرجع نفسه والصفحة.

وتذكر الروايات أن السلطان "محمود" ندم على مسلكه اتجاه "الفردوسى"وأنه أمر له بجائزة تعوضه عما لاقاه من نكران، ولكن الجائزة دخلت من باب بينما كانت جنازة "الفردوسى" تخرج من الباب الآخر، توفى "بطوس" ودفن بها [١].

أما بالنسبة "لشاهنامته" فتعتبر عملًا إبداعيًا رائعًا من أروع الأعمال الشعرية التي أنجزتها الإنسانية بأجمعها، وأهميتها ليس فى كبر حجمها فقط، بل لأنها موسوعة الشعوب الإيرانية لفترة ما قبل الإسلام وذاكرتهم التاريخية، أحياها "الفردوسى" بإبداع رائع لذلك فلها مكانة عظيمة عند الفرس فهى سجل تاريخهم وأناشيد مجدهم، وديوان لغتهم ينشدونه في المحافل ويهيم به العالم والجاهل، وكان "الفردوسى" يقول مؤكدًا أهمية ملحمته "وبذلت أقصى جهد طوال الثلاثين سنة هذه، وأحييت العجم بهذه الفارسية، وبنيت من الشعر قصرًا شامخًا لا تضره الرياح والأمطار"[٢].

كرس "الفردوسى" حوالي ثلاثين عامًا من حياته ليحكي تاريخ بلده في حوالي ستين ألف بيت من الشعر، حيث تشتمل الملحمة علي أمجاد أربع دول قديمة اثنتان منها خرافيتان مأخوذتان من الأساطير الواردة في الأفستا، والاثنتان الاخريتان هما البارثيون والساسانيون، ولكن الملحمة تشتمل علي أساطير حتي فى هاتين الدولتين أكثر مما تحتوى على تاريخ دقيق، وتكثر فى هذه الملحمة الطويلة قصص الفروسية والبطولة، وكانت مصدر هام لكثير من شعراء الفرس المتأخرين[٣].

قسم الباحثون "الشاهنامة" انطلاقًا من محتواها إلى ثلاثة أقسام، وهى:.

١. القسم الأسطورى.

---

[١].الفردوسى: المصدر نفسه، ص٤٥.نظامى العروضى: المصدر نفسه، ص٥٦: ٥٩.

Lane Poole: Op, cit, p٣١.

[٢].الفردوسى: الشاهنامة، ص٧١. أمين بدوى: القصة في الأدب الفارسي، ص١٧٠..

[٣].دونالدولبر: إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، مكتبة مصر، ١٩٥٨م، ص٥٦. ريسلر: الحضارة العربية، ص٩٥. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص٥٣.

٢. القسم البطولى.

٣. القسم التاريخى.

القسم الأول: يحتوى علي قصص منسوبة إلي سيرملوك إيران الأسطورية أمثال كيومرت، جيومرث، طهمورث، وجمشيد، وغيرهم. والقسم الثانى: يشتمل علي قصص بطولية منها قصة "زال" وقصة "رستم" وقصة "سياوش"، وقصة "إسفنديار"، وقصة "سهراب" وغيرها كثير، أما القسم الثالث: فيبدأ من غزو"الإسكندرالمقدوني" "لإيرانشهر"، ويحتوى أساسًا على تاريخ الأسر الساسانية الذى دام حوالى أربعمائة سنة[١].

وفى الشاهنامة نجح الفردوسى فى الوصول إلى الإنسانية المطلقة عن طريق محاربة الظلم والفساد بالتضحية والعدل والعطاء، وهناك نماذج بارزة لهذه الإنسانية مثل رستم وسياوش، وبالطبع فإن سائر الملوك والأبطال الصالحين يستفيدون من ذلك أيضًا إلى حد ما.

وتحتوي الشاهنامة علي العديد من الحقائق والمعارف والمشاعراللطيفة والنقاط الدقيقة وكل ما يرغب فيه القارىء يجده في الشاهنامة من الرزائل كالكذب والغضب والحسد والحقد والحرص والطمع. ومن الفضائل الصدق والصبر والوفاء والقناعة والرضا والعطاء، ومساعدة الفقراء والشرف والتسامح والحمد والشكر والحذر من الوقوع فى المحرمات، وضرورة الوسطية والاعتدال واتباع الرحمة مع الأسير والعبد.

ومن خصائص الفردوسى طهارة اللسان والعفة فلا يوجد فى الشاهنامة كلها لفظ واحد قبيح أو عبارة مستهجنة، وبشكل عام فإن الفردوسى رجل صاحب أخلاق حميدة، ونظرة عالية وقلب رقيق وحس لطيف وذوق سليم وطبع حكيم، وهو دائما ما يستخلص

---

[١] إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسي، ص٤٨.أمين عبد المجيد بدوى: جولة في شاهنامة الفردوسي، مكتبة النهضة المصرية، (د.ت)، ص٨٢، ٩١. بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسي، ص١٩٣.

الدروس المستفادة من القضايا وينبه القارىء بأن العمل السيىء ليس له إلا نتيجة سيئة مثله، وأن الطريق المعوج لا يصل بالإنسان إلى مقصده [١].

كما أنها تضمنت معلومات هامة عن الظروف الاجتماعية التى كانت سائدة فى إيران قبل الإسلام، ومعلومات هامة عن العقائد الإيرانية وغير ذلك من المعلومات التى تفيد فائدة جمة في تحليل الشخصية الإيرانية، وإلى جانب الأهمية التاريخية فإنها مهمة من الناحية الأدبية، فقد أوجدت مجالًا خصبًا للتأليف، فقد حاول الشعراء فيما بعد أن يجاروا هذا العمل، فصدرت عدة منظومات تقليدًا "للشاهنامة"[٢]. لذلك فإن الفردوسى هو بلا شك أعظم شاعر باللغة الفارسية، تمتع بدرجة الأستاذية وبالتقدم على جميع الشعراء الفرس الذين جاءوا من بعده، والذين نظموا بهذا الأسلوب [٣].

ومن الملاحم الأخري منظومة "شهريار نامه" فى سيرة "شهريار بن برزو بن سهراب بن رستم" أنشأ هذه المنظومة الشاعر "سراج الدين عثمان بن محمد المختارى الغزنوى" (ت٥٥٤هـ / ١١٥٩م) وقد نظمها امتثالًا لرغبة السلطان "مسعود بن إبراهيم "[٤]. وقد أمضي فى نظم هذه القصة ثلاث سنوات، وقدمها إلى السلطان وفيها يقول:.

.تحملت العناء، فى هذه القصة ثلاثة أعوام

.ولم أدون فيها .قط .ردئ الكلام

.وقدمتها إلى وردة من حديقة السلطان محمود

---

[١]. مرتضي راوندى: تاريخ اجتماعي إيران، جلد هشتم، بخش أول، ص١٣٩: ١٣٤.

[٢]. بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسى، ص١٩٤.أربرى:تراث فارس، ص٢٧٥. بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٧١.

[٣].استاد خليلي: سلطنت غزنويان، ص٣٢٣.

[٤].محمد محمدى: الأدب الفارسى، ص١٩١. إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسي، ص٥٠.

.إلى السلطان الفاتح الكريم مسعود[١]

(٣) الشعر القصصي (الحكايات)

نعنى بالقصة الفارسية هذا الجانب القصصى من الأدب الفارسى الإسلامى، والذى يعد من أوسع جوانب هذا الأدب وأكثرها إشراقا وأرسخها أركانا[٢]. تتألف القصة عادة من ثلاثة عناصر رئيسية: الموضوع والشخصيات والحوار، وتدور القصة حول سلسلة من الأحداث أو شخصية من الشخصيات أو فكرة من الأفكار تجرى فى بيئة معينة، فيكون العنصر السائد فى القصة سلسلة الحوادث أو الشخصية أو الفكرة أو البيئة. وتنقسم القصص الفارسية من حيث الشكل والصورة إلى قسمين:الأول الرواية وتسمى فى الفارسية دستان، والثانى الحكاية ويسميها الفرس حكايت. فالرواية يعنى بها القصة المطولة التى استأثر بها الشعر فيما بعد فتحولت إلى ما يسمى بالملحمة. أما الحكاية فهى القصة الفارسية القصيرة والتى ساهم فيها النثر والشعر على السواء[٣].

هذا النوع الثانى من الشعر من الأنواع التي اهتم بها باكرًا فى الأدب الفارسى، وقد ازداد الشعر القصصى رونقًا فى مطلع القرن الخامس الهجرى عندما نسب إلي الشاعر "العنصرى" نظم بعض المثنويات التي تتناول قصصًا عاطفية[٤].

ألف "العنصرى" مثنويات قصصية كثيرة أهداها إلي خزانة السلطان "محمود" منها "شاد بهر وعين الحياة" ترجمها البيروني إلي العربية بعنوان "قسيم السرو وعين الحياة" ومنها

---

[١]. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص١١٧.ذبيح الله صفا:تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٥٠٣.

[٢]. أمين عبد المجيد بدوى: الجانب القصصى فى إيران ومصر، ص٩٧.

[٣]. أمين عبد المجيد بدوى:القصة فى الأدب الفارسى، ص٨٧: ٩١.

[٤]. محمد محمدى: الأدب الفارسى، ص١٩٩. إسعاد قنديل: فنون الشعر الفارسي، ص٦٣.

"خنك بت وسرخ بت" أي الصنم الأبيض والصنم الأحمر، وقد ترجمها البيرونى أيضا بعنوان "حديث صنمى باميان" وقصة "وامق وعذراء"[١].

وقد ورد في ثنايا شاهنامة "الفردوسى" مجموعة من القصص العاطفية، فهي ليست كلها حربًا وقتالًا بل تتخللها مجموعة شائعة من القصص مثل قصة "رودابة" بنت ملك "كابل" و"زال بن سام"، وقصة "خسرو وشيرين"، وعلى الرغم من أن ذكر هذه القصص ورد قصدًا أو عرضًا فى"الشاهنامة" التى تتعرض فى المقام الأول للموضوعات الحماسية والبطولية، إلا أن"الفردوسي" أضفي عليها من خصب خياله وروعة بيانه ودقة أدائه ما جعلها تمثل جانبًا مهمًا من"الشاهنامة"، وعلي كل حال يمكن أن نعدها منشأ ومثالًا يحتذى للقصص العاطفية التي ظهرت فيما بعد[٢].

ومن بين القصص العاطفية بالشاهنامة قصة كبيرة الشبه بقصة يوسف وزليخا امرأة العزيز، ألا وهى قصة افتتان "سوذابة" ابنة الملك "هماوران" وزوجة الملك "كيكاوس" بابن زوجها "سياوش"، وفيها راودت سوذابة سياوش فلم يستجب لها وخشيت افتضاح أمرها فسبقت إلي أبيه شاكية مدعية أنه حاول الاعتداء عليها ولكن ثبتت براءته، وصفح عنها زوجها كما فعل العزيز مع امرأته، ولكنها لم تكف عن الكيد له ففر إلى بلاد توران حيث تزوج "فرنگَس" ابنة "أفراسياب" وقتل هناك آخر الأمر[٣].

وهناك قصة أخرى من أوائل القرن الخامس الهجرى عرفت باسم "ورقة وكَلشاه"، وهي قصة قديمة لا يستبعد أن تكون من أصل إيراني، ولكنها ظهرت فيما بعد علي شكل

---

[١]ـ ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٢٨٣، ٥٦١.رضا زادة شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص٤٢.

[٢].إسعاد قنديل: المرجع نفسه والصفحة.

[٣].أمين عبد المجيد بدوى: جولة في شاهنامة الفردوسي، ص٨٩:ص١٩٩.

قصة تجري وقائعها جميعًا في الجزيرة العربية، نظم هذه القصة شاعر باسم "عيوقى" من معاصرى السلطان "محمود الغزنوى"[١].

ازداد الشعر الفارسى بفضل هذه القصص توسعًا وتنوعًا، فبعدما كان مقصورًا علي قصيدة مدح أو هجاء، ومقطوعة يشار فيها إلى فكاهة أو حماسة يشاد فيها بالأبطال، ظهرت هناك أنواع أخرى من الشعر يشاد فيها ببطولة العشاق وآلامهم، أو تصور فيها المثل الأخلاقية العليا التي ترتاح إليها النفس، وكل ذلك من حاجات النفس الإنسانية التى لا غنى عنها، فكان طبيعيًا أن يقوم الشعر بتحقيق ما تطلبه النفس منه [٢].

(٤) شـعرالغـزل

قُسِم الغزل فى الفارسية إلى قسمين:.

- غزل بشرى: يكون المعشوق فيه إنسان من البشر.
- غزل صوفى: يتغنى بالمحبة الإلهية، وهذا النوع من الغزل الصوفى من أروع ما نظم في الشعر الفارسى بل إنه سر عظمة الشعر الفارسى بأكمله.

بالنسبة للنوع الأول من الغزل: فمنذ أواخر القرن الرابع الهجرى وأوائل القرن الخامس الهجرى اتخذ شعراء المديح من الغزل مطية لأغراضهم، فقد درجوا على نهج شعراء العرب من تصدير قصائدهم فى المدح بأبيات فى الغزل، حيث تفننوا فيها بذكر جمال المحبوب وأوصافه ومحاسنه وأمثلة ذلك كثيرة فى قصائد "العنصرى" والفرخى" و"المنوجهرى"[٣].

أما بالنسبة للغزل الصوفى: فمن المعروف أن نفوذ الصوفية بدأ يظهر فى الشعر الفارسى، وأخذ هذا النفوذ يزداد علي مر الأيام، بحيث قل أن نجد شاعرًا لم تكن له صلة

---

[١]. محمد محمدى: المرجع نفسه، ص٢٠٠.

[٢]. محمد محمدى: الأدب الفارسى، ص٢٣٠.

[٣]. إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ص٥٦.

بالتصوف، وكان ينبغي أن يكون الأمر على هذا النحو لأن صلة التصوف بالشعر أمر طبيعى، فالتصوف مذهب القلب والشعر لسان القلب[١].

فكلام الصوفية كله شعور صادق وعاطفة متقدة، وكله ألحان وموسيقى، فالحياة لديهم نغم ووجد، ومحب ومحبوب، فهم أبدًا فى مفاجأة إلهية، وفي جلوة وأنس وحضرة زكية، وفي إشراقات وإلهامات قدسية، في حرارة الحب يعيشون، وفي جمال الهوي يتواجدون، وفي ربهم يفنون فيخلدون، هم يعيشون فى دائرة حب إلهى يضفي ظلاله على حياتهم وعلي تفكيرهم وحركاتهم، فيلونها بألوان سماوية لا تطيقها العيون الأرضية، ألوان تفهمها أرواح وتطمئن إليها قلوب، وتستنكرها وتنفر منها عيون، حب يلمع ويشرق في كل سطر وحرف سطروه[٢].

ومن أهم الآثار التى ترتبت علي دخول التصوف فى الشعر، أن الشعراء الصوفية قللوا من استعمال فن القصيدة لأنها قامت أساسًا على المدح والتملق، والصوفية لا يهدفون إلي ذلك لأنهم تحروا من قيود الدنيا والبحث عن أسبابها، ولذا نجد دواوين الشعراء الصوفية بعضها خال تمامًا من القصائد، وقد استتبع هذا رواج الأنواع الأخر كالغزل[٣].

كان من التقاليد المتبعة فى الخانقاوات إقامة حلقات السماع التى يردد فيها القوالون أشعارًا فى الغزل يفسرونها تفسيرًا صوفيًا، فيتملك الصوفية حالة من الوجد، ومن هنا بدأ الصوفية يتخذون من الغزل وسيلة لشحذ خواطر المستمعين، مما ترتب عليه اهتمام جماعة من المتصوفة بنظم الغزل الصوفى على طريقتهم الخاصة وسلكوا فيه مسلك الرمز والايحاء، بحيث أصبح للشعراء المتصوفة لسان مرموز ولغة خاصة، فعلى الرغم من أنهم استعملوا نفس الألفاظ التى كان يستعملها غيرهم من الشعراء غير المتصوفة إلا أنهم

---

[١]. الهجويرى: كشف المحجوب، ص٣٦. قاسم غنى: تاريخ التصوف في الإسلام، ص٦٦٣. ذبيح الله صفا: تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنكى إيران، ص١٦٠.

[٢]. محمد عبد المنعم خفاجى: دراسات فى التصوف الإسلامى، ج١، ص١٥٨.

[٣]. إسعاد عبد الهادى قنديل: لمحات من الغزل الصوفى فى الشعر الفارسى، ص٩.

استعملوها على سبيل المجاز والكنايات والاستعارات، فالله عندهم هو "الحبيب" والمعشوق"، والوجد الحاصل من التفكير فيه هو "الخمر"، وما شابه ذلك من التعبيرات الرمزية الكثيرة[١].

ومن أكثر الشعراء الصوفية اهتمامًا بالنظم في الغزل هو الشاعر "سنائى الغزنوى"، فقد بلغ مجموع ما نظمه في هذا الفن خمسمائة وثلاث عشرة غزلية تبدو في معظمها روح التصوف واضحة جلية، ومن هنا عرف "سنائى" كرائد للغزل الصوفى[٢]. كما كان حكيمًا عارفًا، تاركًا للدنيا، له ديوان كبير كله حكم ومواعظ من حقها أن تكتب بالذهب [٣].

هو"أبو المجد مجدود بن آدم"(ت٥٤٥هـ/١١٥٠م)المتخلص"بالسنائي"، والملقب "بالغزنوى" [٤].كان في أول أمره مداحًا للغزنويين، فقد مدح السلطان "مسعود بن إبراهيم" والسلطان "بهرامشاه بن مسعود" والذى أهداه أعظم قصائده الشعرية [٥]، والوزراء والندماء، ثم اتجه إلي نظم المثنويات الصوفية فهو أول من نظمها، وتنسب إليه سبع مثنويات هي:"حديقة الحقيقة"، و"سير العباد إلي المعاد"وتتكون من حوالى سبعمائة بيت،

---

[١].إسعاد عبد الهادى قنديل: لمحات من الغزل الصوفى فى الشعر الفارسى، ص٨.

[٢].إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسي، ص٢٠١.

[٣].القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٢٩.

[٤]ـ دولت شاه سمرقندى: تذكرة الشعراء، ص٥٩. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص٧٣. محمد أبو المجد هلال: فن الغزل في الشعر الفارسي نشأته وتطوره منذ منتصف القرن الثالث الهجرى حتى نهاية القرن السادس الهجرى، رسالة ماجستير، كلية الأداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٢م، ص٢٤٣.

[٥].ذبيح الله صفا:تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٥٥٣. استاد خليلي: سلطنت غزنويان، ص٢٥٢، ٢٦٠. Arberry: Classical Persian Literature,p٢٠.

Bosworth:The Later Ghaznanavids,p٥٧.

و"طريق التحقيق"، و"عشقنامه"وتتكون من ألف بيت، "عقل نامه"، و"كارنامه بلخ" وتتكون من خمسمائة بيت[١].

وأشهر هذه المثنويات جميعًا "حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة"[٢]، وتسمي أيضًا "إلهي نامه"، وهى عبارة عن مثنوية أخلاقية صوفية نظمها "السنائى" باسم السلطان "بهرامشاه " فى عشرة آلاف بيت، وقسمها إلى عشرة أبواب هى:-

الباب الأول: يتحدث عن التوحيد.

الباب الثانى: يتضمن ذكر كلام البارى.

الباب الثالث: يتناول نعت النبى صلى الله عليه وسلم

الباب الرابع: يتحدث عن العقل.

الباب الخامس: يتحدث فيه عن العلم.

الباب السادس: يتضمن الحديث عن النفس.

الباب السابع: يتناول الأفلاك والبروج.

الباب الثامن: يمدح فيه السلطان "بهرامشاه ".

الباب التاسع: خصصه للحكم والأمثال.

الباب العاشر: خصصه لتصنيف الكتاب.

---

[١]. ذبيح الله صفا:المرجع نفسه والجزء، ص٥٦٢. أربرى: تراث فارس، ص٢٧٦. سعيد السيد الباجوري: الشعر التعليمي في الأدب الفارسى الإسلامى، ص٣٠. إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسي، ص٢٠٤.

[٢]. إسفزارى: روضات الجنات فى أوصاف مدينة هرات، ص٣٦٢. ذبيح الله صفا:خلاصة تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنكى إيران تا بايان عهد صفوى، ص١٥٩.

وقد أخذ مؤلفوا كتب التوحيد والتصوف معظم أبيات هذا الكتاب واستشهدوا بها في مؤلفاتهم[١]. وتتميز "الحديقة" بين كتب التصوف بأنها تتضمن نواحى المعرفة[٢]، كما تمتاز بالبلاغة وقوة السبك، وأتمها "السنائى" سنة(٥٢٥هـ /١١٣٠م)[٣]. وفيما يلى غزلية "لسنائى":

.إذا انقضت سنوات عمرى، فهذا جائز

.إنما العجب أن تدوم سنوات الحياة

.ونهاية العشق غير ظاهرة إلى الأبد

.فمن أين إذن تكون فيه السنوات والشهور والوقت؟

. يا ويلاه ويا حسرتاه إذا انفصل العشق لحظة عن روحى طوال سنوات عمرى وشهورى

.وأنت يا من جئت طامعًا فى وصال حبيبك

.ألم تسمع أن العشق لأجل البلاء؟[٤]

وله أيضًا:

.نحن جئنا إلى الدنيا من العدم من أجلك

.لا لم نجئ من أجل الطرب واللهو والصراخ

---

[١]. سعيد السيد الباجورى: الشعر التعليمى فى الأدب الفارسى الإسلامى، ص٣٠. إسعاد عبد الهادي قنديل: فنون الشعر الفارسي، ص٢٠٥.

[٢]. استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٢٦٠.

[٣]. ذبيح الله صفا:تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٥٦١. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارس، ص٧٤.

[٤]. إسعاد عبد الهادى قنديل: المرجع نفسه، ص٢٠٦.

.فلا يقبل العشق الأنانية وعبادة النفس

.فنحن قد جئنا من هذا المعنى بلا اسم وعلامة[١]

استطاع "سنائى" أن يعبر بصدق عن العشق الصوفى فى غزلياته بحيث أنه لا يحتمل تأويلًا آخر فهو القائل ما ترجمته:.

.لا أريد الدنيا بدون صحبتك ولا أريد الروح بدون رضائك

.لو تريد روحى ونفسى لا أريدهما آمنين

.أعطيت الروح لخدمتك فأنا لا أريد خدمة بلا مقابل [٢]

ويلاحظ من شعر"سنائى"استخدامه المصطلحات الصوفية لأول مرة فى الغزل الفارسى بكثرة، حيث أنه جعل الغزل كشكل فنى للتعبير عن الأفكار الصوفية، وغزلياته تمتلئ بكثير من المصطلحات الصوفية، فهو يقول فى قصيدة طويلة مطلعها ما ترجمته:.

.أيها الحبيب يلزمنا نبيذ بلا تكلف، ينبغي مفتاح لقفل متاعبنا هذه الليلة

.والآن اجتمع الكأس والسماع والشاهد دفعة واحدة فينبغى تمزيق خرق الإدعاء هذه معًا[٣]

ونلاحظ فى هذه الغزلية كثرة المصطلحات الصوفية التي تختلف فى معناها الظاهرى عن معناها الباطنى، فهذه المصطلحات إن فسرت على ظاهرها تعطى معان مغايرة تمامًا لما يقصده.

الخلاصة أن "سنائى" استطاع أن يقطع شوطًا بعيدًا في تطوير فن الغزل بشكل لم يسبق إليه غيره، وذلك بإدخاله ميدان التصوف، كما أصبح للصوفية على اختلاف طبقاتهم وعلى

---

[١]. محمد أبو المجد هلال: فن الغزل في الشعر الفارسي، ص٣٤٣.

[٢]. سنائي: ديوانه، باهتمام مدرس رضوي، تهران، ١٣١٣هـ. ش، ص٦٨٨.

[٣]. المصدر السابق، ص٧١٣.

مر العصور أدب إسلامى رفيع، ومجال واسع في النثر والشعر، وباع طويل في كل أغراض الأدب، ومنزلة عالية فى التجديد في معانى الأدب وأخيلته وأساليبه.

(٥) شعر الحكم والمواعظ " الشعر التعليمي "

كانت الحكم والمواعظ من جملة الموضوعات التى نالت اهتمامًا كبيرًا من الشعراء، وشعر المواعظ هو شعريحاول أن ينظم نظريات علمية أو اجتماعية أو فنية أو أدبية بما لها من اعتبارات فلسفية، والمعانى الخلقية هى دائمًا الموضوع المفضل بالنسبة لشعرالحكم والمواعظ، وعلي هذا فلابد للشاعر أن يعرف كيف ينقش فكرة في بيت من الشعر محكم الأطراف.

ومع أن"الشاهنامة"نتاج ملحمي تمامًا فهي مليئة بالنصائح والمواعظ، هذه النصائح والمواعظ يرد بعضها في المتون الأصلية كجزء من القصص، وهذا النوع نلاحظه بوفرة فى القسم الخاص بتاريخ الساسانيين، وخاصة فى سيرة"أردشير بابكان"وابنه "شابور"، وأهم الأقسام الحكمية فى "الشاهنامة" نصائح "بزرجمهر" ومجالس"أنوشروان"، وهذه المواعظ والنصائح ترى غالبًا فى ختام حكايات الملوك والأبطال وحين وفاتهم، وتمتاز نصائح "الفردوسى" بأنها عملية منطقية لا نظرية بعيدة عن الواقع[١].

ومن الشعراء الذين نظموا فى هذا اللون"أبو المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوى"(ت٤٩٨هـ/١١٠٤م)، كان كاتبًا بين يدي "عبد الحميد"وزير سلطان "غزنة"، كتب ما يزيد علي خمسة آلاف بيت من الشعر، ومن شعره قوله:.

فيا ليت شعرى والأمانى خوادع ... وهل هلكت فيه نفوس هوالك

فيا ليت شعرى يوم يؤذن مالك ... أيرحمنى مولاي أم أنا هـــالك

إذا أبيض من قوم وجوه منيرة ... أو أسود من قوم وجوه حوالك

---

[١]. محمد محمدى: الأدب الفارسى، ص٢٠٥. إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ص٦٩.

وليس ينجى الظالمين اعتذارهم وليس ينجي المالكين الممـــالك

فكيف قرارى فى عـذاب جهنم وكيف وقد ضاقت على المسالك[١]

كذلك الشاعر"مسعود سعد سلمان" الذى نظم أشعارًا تعليمية تحدث فيها عن أيام الفرس وشهورهم، وعرض صفاتهم فى قالب جميل يوجه فيه مدائحه للسلطان أرسلان شاه[٢].

صار شعر المواعظ من أهم آثار شعراء الصوفية، وعلامة بارزة على طريقهم بل صار مسئولية يتحملونها إزاء المجتمع وأفراده، فهناك المنظومات العديدة فى إرشاد الناس وتذكيرهم بالآخرة، وكشف الجوانب السيئة فى الدنيا وزخرفها والدعوة إلى عدم الاغترار بها، وهناك أيضًا القصص التى تنظم للناس على سبيل العبرة والعظة والترغيب في الخير، وإلى جانب هذا وجدنا قصائد وأبيات مفردة تحمل نفس المعنى وتجرى مجرى المثل بالحكمة والموعظة الحسنة[٣].

ومنذ أوائل القرن السادس الهجرى فتح "سنائى" بابًا جديدًا فى شعر الحكمة بعد أن طرأ عليه من التصوف ومن انقلاب فى الحال والتفكير، فقد مزج معانية الحكمية العرفانية بالموعظة والنصيحة بعباراته الفصيحة وخيالاته السامية وتعبيراته النادرة المثال، وبلغ من تأثير أسلوبه أن يصعب فى كثير من المواقع قراءة قصيدة له من هذا النوع والوصول بها إلي نهايتها دون تأثر وإنفعال، " فالسنائى"حتى فى حال اهتمامه بالموضوعات العرفانية العميقة يميل فى مثنوياته المشهورة مثل "سير العباد" و"طريق التحقيق" و"حديقة الحقيقة" إلى

---

[١]. عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر، ج٢، ص١٣٠، ١٣١.

[٢]. طلعت أبو فرحة: مسعود سعد سلمان، ص٢٩٤.

[٣]محمد السعيد جمال الدين، أحمد حمدى الخولى:دراسات ومختارات فارسية، القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، (د.ت)، ص١٢٦.

الوعظ والنصح والارشاد، وقد أدت براعته فى أشعار الحكمة إلى أن تستحوذ على كثير من اهتمام شعراء أواخر القرن السادس الهجرى[١].

ومن شعراء مدينة "غزنة" الذين تناولوا فى شعرهم أنواعًا متنوعة من الشعر: "عطاء بن يعقوب بن ناكل الغزنوى"(ت٤٩١هـ/ ١٠٩٧م) أصله من"غزنة"، عاش أسيرًا فى"لاهور" ثمانى سنوات(٤٧٢:٤٦٣هـ/١٠٧٠: ١٠٧٩م)عندما غضب عليه السلطان"إبراهيم بن مسعود"(٤٥١: ٤٩٢هـ/١٠٥٩: ١٠٩٨م)ثم أفرج عنه عندما ثبتت براءته من تهمة التمرد[٢]. له ديوان شعر بالعربية والفارسية لذا أطلق عليه ذى اللسانين، وله كتابًا فى التصوف باسم "منهاج الدين"، قال عنه القاضي "معين الدين محمد بن محمود الغزنوى" صاحب كتاب "سر السرور"[٣]:"إذا اجتمع الأفاضل فى مضمار التفاضل، واتزنوا بمعيار التساجل . أى التسابق . كان هذا الشيخ هو الأبعد إحضارًا، والأرجح مقدارًا أقر له بالتقدم رجالات الآفاق وأذعن له بالترجيح فضلاء خراسان والعراق، وقد سافر كلامه من غزنة إلي العراق، ومن ثم إلي سائر الآفاق، والمشهور أن ديوان شعره العربى والفارسى يشترى بخراسان بأوفر الأثمان"[٤]. ومن شعره:.

صبرًا فإحماء الحـديد وطـــرقه ... قد صيراه وهو سيف مقضبُ

صبرًا فبعد الليل صبح ساطـــعُ ... صبرًا فبعد العسر يسر يقرب

صبرًا فبعد السجن ملك يوسف ... وتحقق الرؤيا ووافاه الأب[٥]

---

[١]. محمد محمدى: المرجع نفسه، ص٢٠٧.

[٢]. عماد الدين الأصفهاني: خريدة القصر، ج٢، ص١٥٤.

[٣]. هو أبو العلاء محمد بن محمود بن أبي الحسن النيسابورى الغزنوى، من أهل غزنة، كان إمامًا فاضلًا واسع العلم متفننًا مناظرًا عارفًا بالأدب مليح المحاورة كثير المحفوظ، صاحب كتاب "سر السرور" الذى جمع فيه شعراء عصره.الصفدى: الوافي بالوفيات، ج٥، ص٦.

[٤]. ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج١٢، ص١٧٠: ١٧٢.

[٥]. عماد الدين الأصفهانى: المصدر نفسه والجزء والصفحة.

كان بينه وبين الشاعر"مسعود سعد سلمان" صداقة، وقد ذكره فى قطعة الأخوانيات، والتى تبدأ بالبيت الذى يقول فيه:.

.يا رفاقى يا "عمر" و"منصور" و"عطا" يا من أنتم الثلاثة سماء وهواء وصبا[1]

"أبو الفتح بركات بن المبارك"، ولد"بغزنة"سنة(٤٦٦هـ/١٠٧٣م) وتوفي بنيسابور سنة(٥٢٥هـ/١١٣٠م)له مؤلفات عديدة أعربت عن غزارة علمه، ومنها كتاب"الشعر والشعراء" الذى ذكر فيه أعظم الشعراء.له أشعار تدل علي سلاسة طبعه ورقة خاطره وسلامة أسلوبه، ومن شعره قوله:.

إذا سل الذوائب، قلت ليل وإن كشف القناع ترى نهارًا

وفى المشتا العبوس إذا تراه تخال عليه من وردٍ صــدارًا

أبعد الأربعين إلى التصابى أميل كفى بذاك على عــارًا

وحكى أنه حضر دار الشاعر "مسعود بن سلمان" فلم يجده، فكتب على بابها:.

قل لمسعود بن سعد حضر اليوم فزارك

خلك الموثق عهدًا بركات بن المبارك[2]

لم يكن الازدهار فى الشعر خاص بالرجال فقط، ولكن كان للنساء حظ من هذا الازدهار فقد حظي بلاط السلطان"محمود الغزنوى"بمجموعة من النساء الشاعرات اللاتى شاركن الرجل في التعبير عما يجول بالمجتمع من أفكار وآراء، ومنهم السيدة "رابعة بنت كلب القزدارية " شاعرة دار الحريم، جاء شعرها متعدد الأغراض، متنوع الأنماط، وبلغت مبلغًا كبيرًا من الرفعة والاهتمام، وكانت تقضى معظم أوقاتها فى نظم وقول الشعر، لذلك حظى بالاهتمام من قبل الغزنويين وكانوا حريصين على اقتنائه.

---

[1]. طلعت أبو فرحة: مسعود سعد سلمان، ص٢٢٧.

[2]. عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر، ج٢، ص١٤٨.

ومن شعرها في حبيبها بكتاش باللغة الفارسية قولها ما ترجمته:.

.إنك تجعلنى أحتمل العشق بالحيل فأية حجة تبديها أمام الله عزوجل ؟

.فبعشقك لن أرد مورد العصيان وبدينى لن أصبر بالمثل إلى الطغيان

.إنني لا أريد النعيم بدونك فالجحيم معك مستساغ

.وبدونك يكون السكر سمًا والسم معك يكون عسلا [١]

كذلك كان للشعر وللمرأة الغزنوية دورًا فى الجهاد الدينى، حيث كانت تحمس المقاتلين بالأشعار التى تنشدها، فقد هجا الشعراء وتغنى النساء بالقصائد الشعرية عندما قبض السلطان "بهرامشاه" على "سيف الدولة الغورى"، وقد أمر بتلوين وجهة باللون الأسود وطيف به شوارع غزنة، بعد أن أركبه بقرة، وقد رد "علاء الدين الغورى" على هذه الفعلة، عندما هاجم غزنة في عهد "خسروشاه"، حيث قبض على الذين أسروا أخاه فألقاهم من على الجبال، وأخذ النساء اللائى تغنيين بهجو أخيه سيف الدين فأدخلهن حمامًا ومنعهن من الخروج حتى متن به[٢].

من هذا العرض السريع تبين لنا أن الشعر قد بلغ الذروة بعد أن مر بأدوار نمو وانتعاش تدريجية بدأت فى عهد الدويلات المستقلة ثم ازدهر فى عصر الغزنويين، وبخاصة فى عهد السلطان "محمود" حتى بلغ من تقدم الشعر أن صار ينظم ارتجالًا وأن يجد له سوقًا رائجة، وأصبح أدبًا شيقًا فى مادته بعيدًا فى أخيلته ساميًا فى معانيه، إذ إنه كان ثمرة تلك الأطوار الثقافية وخلاصة تلك الثقافات المتنوعة.

والذى يلاحظ فى هذه الحقبة من تاريخ الأدب هو الاعتزاز بالعربية وافتخار الأدباء الفرس بها بحيث نظموا فيها، وقل أن نجد أديبًا فارسيًا لا ينظم بالعربية حتى أطلق على

---

[١]. نعمة علي مرسى:المرأة المسلمة في آسيا الوسطي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، ص١٠٠، ٢٤٤.

[٢].النويرى: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٩٠.

هؤلاء لقب ذوى اللسانين. كما يلاحظ أن الشعر الفارسى الذى كان حتى أواخر القرن الرابع الهجرى منحصرًا فى النواحى الشرقية من إيران، انتقل منذ هذا التاريخ وبخاصة منذ أوائل القرن الخامس إلى غربى إيران وإلى العراق، وظهر شعراء كبار فى قوس والري وأصفهان، بل أن ظهور مراكز أدبية جديدة غربية دفع بعض الشعراء الشرقيين إلى الذهاب لتلك النواحى، مثل الأسدي، وسيد حسن الغزنوى وغيرهم من الشعراء.

وفى هذا العصر الذى بلغت فيه الحضارة الإسلامية أوجها ظهرت أول ملحمة فى الأدب الإسلامى، وإذا انتقلنا إلى الشعر الغنائى لمسنا براعة التصوير وضخامة الإحساس، أما بالنسبة لأسلوب النثر العلمى فقد اتسع لقضايا الفكر المختلفة، كما ظهر النثر الفنى الذى ترصعه أبيات الشعر ويطبعه الزخرف والبديع.... إننا حين نصل إلى هذا الحد ندرك أن العصر الغزنوى كان حقًا عصر ازدهار الأدب والفكر.

ثانيًا: علم التاريخ[١]

دفع القرآن الكريم المسلمين دفعًا إلى مختلف مجالات المعرفة فى الكون، ومن تلك المجالات علم التاريخ الذى يسميه أيام الله التي أنعم فيها على من اتبع هديه واستقام على أمره، ودمر فيها من سار فى طريق المعصية، أيام الله التى نصر فيها أولياءه وخذل فيها أعداءه، يقول تعالي ﴿ **قُل سِيرُواْ فِي الأَرضِ فَانظُرُواْ كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبلُ كَانَ أَكثَرُهُم مُّشرِكِينَ** ﴾[٢] ولا شك أن الإسلام أسهم فى تنمية الوعى التاريخى عند المسلمين، فقد وردت في القرآن الكريم أخبار عديدة وإشارات إلى الأمم السابقة، وذلك لأن حاضر الإنسانية امتداد لماضيها البعيد، ومهاد لمستقبلها المرتقب وعلى المؤمنين أن يلتمسوا العبرة مما مضى ليصونوا يومهم وغدهم، وهل للتاريخ ثمرة إلا هذا؟ قال تعالى﴿ **لَقَد كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلبَابِ**﴾[٣]. فالتاريخ ما هو إلا حوار مستمر بين الحضارات والجماعات تختلط فيه أحداث الماضي بتطلعات المستقبل، وذلك لأن الإنسان محصلة للعلاقات الاجتماعية التى عاشها، وهو لا محالة يظل يستلهم الأشكال والأنماط لثقافة الجماعة التى ينتمى إليها كما فعل "أبو الريحان البيروني" في كتبه التاريخية.

حظي علم التاريخ بمكانة بارزة في الحضارة الإسلامية، كما لعب دورًا رئيسيًا في تكوين الثقافة الدينية التى هي من مرتكزات الحياة العقائدية للمجتمع الإسلامي، فقد كان تأثيره على علم الحديث أكثر من تأثيره علي أي علم آخر، إذ كان الرواة في معظم

---

[١]. التاريخ لغة يعني التعريف بالوقت، واصطلاحًا هو علم معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك، وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك وغيرهم، والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية وفائدته العبرة بتلك الأحوال. طاش كبري زادة: مفتاح السعادة، ج١، ص٢٠٤. رحيم كاظم الهاشمي، عواطف محمد: الحضارة العربية الإسلامية، ص١٧٧.

[٢]. الروم: (٤٢)

[٣]. يوسف: (١١١)

الأحيان رواة حديث وتاريخ فى آن واحد، كما أن أساليب النقل وترتيب المواد كانت متماثلة في كلا العلمين اللذين كانا يعتمدان علي الرواية الشفهية بالدرجة الأولى، بل إن المجموعات الأولي للحديث والتاريخ كانت واحدة، والمؤرخون كانوا هم أنفسهم محدثين في الوقت ذاته فالروايات المنقولة. وإن لم يكن لها أدني علاقة بالحديث. كانت تؤخذ على محمل الجد وكأنها من روايات الحديث، إذ كان على الراوى أن يجيء بالسند أو على الأقل أن يورد كشفًا كاملًا برواته الذين نقل عنهم الخبر الذى هو بصدده وعليه أن يثبت أسماء رجاله[١].

كان التاريخ واحدًا من العلوم التى تطورت دون تأثير يذكر بالمصادر الغير إسلامية، علي عكس الكثير من العلوم الأخرى التى كان التأثير الغير إسلامى واضحًا على الأقل فى نشأتها[٢]. وبالنسبة للمؤرخ فلابد أن يكون عالمًا عدلًا عارفًا بحال من يترجم له ليس بينه من الصداقة ما قد يحمله علي التعصب له، ولا من العداوة ما قد يجعله يغض من قدره [٣].

كان للتاريخ دوره في الحياة الاجتماعية والسياسية والإدارية والأدبية للدولة الإسلامية، وليس أدل على المكانة الكبيرة التي يحتلها علم التاريخ فى الثقافة الإسلامية من ظهور تلك المؤلفات التاريخية التى تعد بالمئات.

ولأهمية ذلك الدور فقد عنى به المسلمون وبلغت تلك العناية قمتها في القرن الرابع الهجري[٤]، وامتدت تلك العناية حتى القرن الخامس الهجرى، فقد أدرك الغزنويون قيمة التدوين التاريخى وأهمية الأعمال التاريخية [٥]. لذلك زخر العصر الغزنوى بطائفة كبيرة من أعلام المؤرخين وخاصة بعد أن نشطت حركة الترجمة من اللغات المختلفة إلى اللغة

---

[١]. منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص٢٢.

[٢]. عبد الله منسى العمرى: تاريخ العلم عند العرب، ص٢١٩.

[٣]. السبكى: معيد النعم ومبيد النقم، ص٧٤.

[٤]. ناصر محمد عبد الرحمن رمضان: الاتصال العلمي في التراث الإسلامي، ص٦١.

[٥]. البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٥.

Arberry: Classical Persian Literature ,p٢٤.

العربية والفارسية، وبدأ المؤرخون يصنفون الكتب فى مختلف العلوم والفنون، ومن أشهر مؤرخى مدينة "غزنة".

"العتبي"

هو"أبو نصر محمد بن عبد الجبار"(ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م)[١] كانت أسرته ذات شأن ونفوذ في خراسان، ذهب العتبى إلى نيسابور وعمل كاتبًا عند"أبي علي محمد بن محمد سميجورى" والى نيسابور أيام السامانيين، ثم توجه إلي "غزنة" وعينه "سبكتكين" كاتبًا له، أما السلطان "محمود" فعينه علي البريد "بكنج رستاق"[٢].

يعتبر "العتبي" المؤرخ الأول للدولة الغزنوية لأنه كان يتابع تأسيس هذه الدولة علي يد مؤسسها "سبكتكين" خطوة بخطوة[٣]، له مؤلفات عديدة ومن أهمها كتاب "تاريخ اليمينى" أو "تاريخ العتبي" الذي نسبه إلي لقب السلطان "محمود" "يمين الدولة". وقد تناول في هذا الكتاب تاريخ الدولة الغزنوية، فترجم فيه "لسبكتكين"وأوضح كيفية تأسيس الدولة، ثم أبرز أهم الوقائع والأحداث التي حدثت في أيام السلطان "محمود". وفي مقدمة كتابه يقدم الغرض من تأليفه لهذا الكتاب فيقول:"رأيت أن أمتع أهل العراق بكتابه هذا الباب عربي اللسان، وكتابي أهل البيان يتخذونه سميرًا علي السهر رئيسيًا في المقام والسفر...". وعن محتويات الكتاب يقول: "مبتدئًا بذكر الأمير الماضي أكرم الله مآبه وأجزل ثوابه من حيث نشأت نبعته، وتفرعت دوحته إلي أن استعان به الأمير أبو القاسم نوح بن منصور الساماني، وما جرى من الفتوح على يديه متبعًا بذلك من وقائع السلطان الأجل يمين الدولة، وأمين الملة في الهند والترك، وما أتيح له فيها من النصر والفوز، وما

---

[١]. بدر عبد الرحمن:الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى، ص٣٧٥.

[٢]. استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٣٥٣.أركين رحمة الله يف.عبد الله يولداشيف: الحضارة الإسلامية في تاجيكستان، ص٨٨.

[٣]. الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٤، ص٤٥٨.

Lane Poole: Mediaeval India Under Mohammedan Rule (A.D.٧١٢-١٧٦٤),p٣٠.

يتصل به من أخبار ولاة الأطراف والله ولي المعونة علي درك المنشور وإصابة الغرض لمقصود بمنه وجوده"[١].

ويعد الكتاب بحق أكبر مصدر لتاريخ هذه الدولة في تلك الفترة، وقد صاغه في أسلوب أدبي مسجوع لذلك حاز شهرة كبيرة بين الكتب الأدبية والتاريخية[٢]، وقد عني بشرحه الكثير من الأدباء منهم الشيخ "أحمد المنيني" الذي سمي كتابه شرح "المنيني المسمي بالفتح الوهبي علي تاريخ أبي نصر العتبي". وله أيضًا كتاب "لطائف الكتاب" ومن أشعاره:.

شيبى عـــزيز غير أن شبيبتى ... علق كريم لا يجاوزه الأمـــل

من ذا الذي ساوي سواد لحاظة ... ببياض عينيه وحسبك ذا المثل[٣]

"الثعالبى"

هو "أبومنصورعبد الملك بن محمد بن إسماعيل"(ت٤٢٩هـ /١٠٣٧م)[٤] شاعر ومؤرخ وفقيه صنف فى التاريخ كتاب "غررأخبار ملوك الفرس" ألفه بالعربية باسم الأمير نصر بن ناصرالدين سبكتكين.وقد ألف هذا الكتاب ما بين عامى (٤١٢:٣٩٠هـ/١٠٢١:٩٩٩م)[٥].

---

[١].العتبى: تاريخ اليميني، ج١، ص٥٣.

[٢].أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١، ص٢٨٦. محمد الرفاعى: الخلافة العباسية، ص٢٠٤. عبد السلام عبد العزيز فهمى: موضوعات النثر الفارسى، ص١٠١.

[٣].الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٤، ص٤٥٨، ٤٦٧.

[٤].بدر عبد الرحمن:الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى، ص٣٦٨.

[٥].استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص ٣٤٧.

"البيروني"

هو "أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى "(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)[١].من مشاهير المؤرخين فى الدولة الغزنوية، والذى يقول عنه الفرس أنه هو الذى وضع حجر الأساس لعلم التاريخ، وبذل جهوده الجبارة فى سبيل نشر الثقافة الفارسية فى المدن والقرى لكل إقليم يزوره[٢].

فالتاريخ عند "البيروني"هو عرض منظم ومكتوب للأحداث المتعاقبة، فهو لا يسجل الأحداث الماضية والأخبار الباقية فحسب، بل يحاول الكشف عن أسبابها وبيان ما بينها من ترابط وتداخل بحيث تشكل موضوعًا واحدًا يقبله العقل. يقول المؤرخ الفرنسي "كلود كاهن" عن أسلوب "البيروني" في التاريخ "نحن ندين للبيروني باستعراض زمنى لجميع الشعوب بالمعرفة، أرفقه بمعلومات فى غاية الأهمية عن أعيادهم ودياناتهم، كما ندين له بكتاب عن بلاد الهند، وفي هذا الكتاب معلومات قيمة لا تزال ثمينة إلى يومنا هذا"[٣].

وتتمثل عبقرية "البيرونى" في منهجه التاريخى فى ربط الأحداث بعضها ببعض، مما يجعل التاريخ حيًا كما لو كنا نعيشه، كما أنه اتصف بعدم التحيز والبعد عن التأثر بالعوامل الخارجية فى كتابته التاريخية، وتجنب الشهرة والجاه لإدراكه أن الحقائق التاريخية التي قد يكشف عنها تعدل كل ذلك أو تزيد، كما تميز بروح نقدى ينفذ إلي صميم الأحداث والأخبار، فيستخلص الصدق والحق منها، ويطرح ما دون ذلك، وكان إلي هذا ذا عقل

---

[١].ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج٣، ص٣٠.

[٢].محمد أبى الصلاح: البيرونى يسيح فى الهند، ص٣٧.

[٣]. كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، بيروت، دارالحقيقة، ١٩٧٤م، ص٢٣.

مرتب، استطاع أن يميز بجلاء بين الحوادث وأن ينسق بين أنواع الحقائق، ويحدد العلاقة بين حوادث التاريخ فى الزمان والمكان ويربط بينها ربطًا علميًا [١].

كان لمنهج "البيرونى" خطوات محددة التزمها بدقة فى مباشرة البحث فى شئون المجتمع والإنسان تتمثل فيما يأتى:-

تحرى الدقة فى جمع المادة التاريخية، وفى ذلك يقول البيرونى "لما كانت الأخبار وأحوال القرون الماضية معرضة بطبيعتها لزيف المخبرين، ومختلطة فعلًا بالتزويرات والأساطير لبعد العهد بيننا وبينها، فالأولى أن لا نقبل من قولهم فى مثله إلا ما يشهد به كتاب معتمد على صحته"[٢]. بهذه الروح ألح على المؤرخ أن ينزه نفسه عن العوارض المروية لأكثر الخلق، ويتخلص من الأسباب المعمية لصاحبها عن الحق "كاتباع الهوي والتعصب"[٣]، فهي كلها تحول عن تلمس الحقيقة وتدعوا إلي مجانبة الصواب[٤]، ومن المؤكد أن "البيروني" لم يكن نظريًا فيقر منهجًا دون أن يطبقه كما فعل غيره من الباحثين بل زاوج نظره وعمله مزاوجه تؤكدها سائر كتبه بحسه الناقد وميله إلى الوضوح[٥].

أما الخطوة الثانية فتتمثل فى ذكر المصادر التي اعتمد عليها في كتابته التاريخية، وسبب هذا تأثره بعلم الحديث الذى يعتمد أشد ما يعتمد على السند، ويمتاز "البيروني" أنه كان بالغ الدقة في تحديد مصادر مادته، والتي تنوعت بين مصادر عربية وفارسية ويونانية وسريانية وخاصةً أنه كان يعانى فى الحصول على تلك المصادر، وقد أشار إلى ذلك فى كتابه عن الهند[٦].

---

[١]. علي الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص٣٢٣.

[٢]. البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٨م، ص١٦.

[٣]. المصدر السابق، ص٤.

[٤]. المصدر السابق، ص٨٠.

[٥]. على الشابى: المرجع نفسه، ص٣٢٤: ٣٢٧.

[٦]. البيرونى: تحقيق ما للهند، ص١٦.

وهو أحيانًا يذكر المصدر، ولا يذكر النص مكتفيًا بإحالة القارئ إليه ففي كتابه "الآثار الباقية" يري من العبث التفصيل فى موضوع تعيين تواريخ الهلال، لأنه موضوع صعب يحتاج إلى إسهاب، وأشار على القارئ إذا أراد المزيد بالرجوع إلى زيج "البتاني" أو زيج "حبش الحاسب"[١]، وإذا نسى اسم المصدر فإنه يصرح بذلك فقد نقل نصًا عن نظرية الهنود فى دورة السنين ونبه إلى أنه نسى المصدر الذى نقل عنه[٢].

يعتبر كتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية" أهم كتبه التاريخية والذي ألفه سنة (٣٩٠ـ ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م)[٣].ألفه باسم الأمير شمس المعالى "قابوس بن وشماگير"حاكم جرجان ـ حكمها من سنة(٣٦٦هـ/٩٧٦م حتى سنة ٣٧١هـ/٩٨١م) ثم من سنة(٣٨٨هـ/٩٩٨م حتى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م)[٤] وهذا الكتاب عبارة عن موسوعة مهمة تتسم بالجمع والنقد والاستنباط، فقد جمع فيه تراث أمم مختلفة منذ بداية الخليقة حتى عهده، ولم يكتف بجمع الكثير من المعارف الإنسانية، بل راح يصنف هذا التراث جامعًا فى مكان واحد الآراء المتعلقة بموضوع واحد، وقد عمد "البيروني" إلي المقارنة والنقد، فهو يرى أن الخطوة المباشرة التى تعقب جمع المادة وترتيبها من كتب الملل وأصحاب الآراء قياس الأقاويل والآراء فى إثبات ذلك بعضها ببعض.

وتعرض مقدمة الكتاب منهج "البيروني" العلمي القائم على الأخذ عن السلف والنقد المجرد من الهوى، ثم البحث في اليوم والشهر والسنة عند مختلف الأمم ووجوب اعتماد اليوم أساسًا للبحث لأن اليوم وحدة زمنية ثابتة، أما الأشهر والسنون فيختلف مقدارها باختلاف الأمم التي تعتمدها [٥] لذلك اهتم بالتقاويم وما طرأ عليها من تعديل فوضع

---

[١]. البيرونى: الآثار الباقية، ص٢٣٢.

[٢]. البيرونى: تحقيق ما للهند، ص٢٦٥.

[٣]. ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج٣، ص٣٠. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والاجتماعى، ج٣، ص٤١٠. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٥، ص١٩٧.

[٤]. نظام عروضى: جهار مقالة، ص١٤٦.

[٥]. البيرونى: الآثار الباقية، ص٤.

جداول تقارن بين أشهر الفرس والروم والهنود والأتراك[١]، هذه الجداول تمكن المطلع من استخراج التواريخ بعضها من بعض بطريقة عملية سهلة، وهناك جداول أخرى لملوك آشور وبابل وملوك الكلدان واليونان، كما وضع جداول لملوك الفرس منذ نشأة مملكتهم حتي نهايتها، وتحدث عن الأعياد وأسمائها وتواريخها المختلفة[٢].

ومن البحوث الطريفة التي تناولها هذا الكتاب فصل كتبه البيرونى وعرض فيه لطريقة تسطيح الكرة الأرضية، وهذا الفصل يعد الأول من نوعه، إذ لم يُعرف أن أحدًا كتب فيه قبله. لذلك اعتبر البيروني أنه أول من وضع أصول الرسم علي سطح الكرة الأرضية، ولا يخفى ما لهذا من أثر في تقدم الجغرافيا والرسم، وقد عالج فيه نظرية دوران الأرض حول نفسها، كما حدد فيه خطوط الطول ودوائر العرض بدقة متناهية [٣].

لهذا يعتبر هذا الكتاب مرجعًا هامًا وعظيمًا من مراجع التاريخ العام والإسلامي، لأنه حفظ من الضياع الكثير من الروايات والآراء التي ضاعت أصولها وأصبح الوصول إليها أمرًا متعذرًا، ثم إنه كفى الباحثين مشقة مطالعة مئات الكتب إذ قام بجمعها وتنسيقها فى كتاب واحد.

أما كتابه الثانى فهو كتاب"تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة"[٤]، والسبب فى اختيار هذا العنوان أنه يعرض مقولات الهنود على علاتها ليشرك القارئ في الإلمام بزوايا التفكير الهندى ويترك له أمر نقدها[٥].وهذا الكتاب ترجمه الدكتور"سخاو" وأشار في مقدمته إلى"أن الباحث الحديث في أيامنا لو بدأ دراسة اللغات السنسكريتية والهندية وأعانته العلوم والآداب المختلفة علي ذلك لبقي عددًا طويلًا من السنين دون أن

---

[١].أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١، ص٢٩٠. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٣٣٨.

[٢].البيرونى: المصدر نفسه، ص١٢٨: ١٣٤، ١٤٥: ١٥٢، ٣٨٥.

[٣]. محمد الإبراشى، أبوالفتوح التوانسى: سلسلة تراجم أعلام الثقافة العربية ونوابغ الفكرالإسلامى، ص١٢٧.

[٤] .Bosworth: The Development of Persian Culture under the Early Ghaznavids,p٣٨

[٥].البيرونى: تحقيق ما للهند، ص١٥.

يتمكن من معرفة تاريخ الهند القديم بمثل الدقة والبراعة اللتين وصل إليهما "البيرونى" في تاريخه عن الهند"[١].

وترجع أهمية الكتاب إلى أن "البيرونى" قام بدراسة المجتمع الهندى دراسة تاريخية اجتماعية، حيث يتضح من اسم الكتاب أنه لم يكن مجرد تاريخ لبلاد الهند وحضارتها ولا مجرد وصف معالمها وعادات أقوامها وتقاليدهم علي غرارما يسجله أصحاب الرحلات من ملاحظات وما يروونه من عجائب الأخبار والأساطير، وإنما هو في الواقع بحث ميداني ونظري عميق للتعرف علي حقيقة معتقداتهم وتصوراتهم ومفاهيمهم، وكشف أوجه الشبه والاختلاف بينها وبين ما هو عند غيرهم من الأمم وخاصة اليونان والنصارى والمسلمين. فللهند مقولات خاصة تغاير مقولات غيرها، كما هو ظاهر من عبارته "في تحقيق ما للهند" والتي وضعها عنوانًا لمؤلفه، فقد استخدم "البيروني" مصطلح المقولات بمعني المفاهيم والمعايير التي أتفق عليها الهنود لضبط تصوراتهم ومنطق تفكيرهم[٢].وهو في أثناء ذلك لا يكتفي بالحكاية عنهم فقط، أنما يقارن ما بين ما عندهم وما عند غيرهم من الأمم خاصة اليونانين. والكتاب في الحقيقة ينتمي إلي طراز فريد في بابه، وعلى الرغم مما يحتويه من تاريخ الهند وشرح لفلسفتها وعقائدها ودياناتهم، فهو يحوي مادة جغرافية وفلكية قيمة حيث يضم الفصل الثامن عشر ملاحظات متفرقة عن الأرض والأنهار.

أما الموضوعات التى تناولها الكتاب فهى:.

الفصل الأول: مقدمة عامة، الفصل الثانى وحتى الحادى عشر:آراء دينية وفلسفية، الفصل الثانى عشر وحتى السابع عشر: أدب وعادات وخرافات، الفصل الثامن عشر وحتى الحادى والثلاثين: جغرافية وصفية ورياضيات، الفصل الثانى والثلاثين وحتى الثانى والستين: تاريخ وفلك، الفصل الثالث والستين وحتى السادس والسبعين: قوانين

---

[١].براون: تاريخ الأدب في إيران، ص١١٧.

[٢].محمد الأنفر: نظرية المعرفة ومدي إسهام أبي الريحان البيروني في تحديد إطارها الاجتماعي، ضمن كتاب تونس وإيران قرون من التلاقح الحضاري، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م، ص٧٤.

وعادات وأعياد، الفصل السابع والسبعين وحتى الثمانين: تنجيم[١]. ويمكن تقسيمه بطريقة أخرى إلى ثلاثة أقسام قسم خاص بالفلك، وقسم خاص بالرياضيات، وقسم خاص بالفلسفة[٢].

أما طريقة العرض فتتشابه في جميع الفصول، فالبيروني يبدأ بسوق ملاحظات عامة تعقبها مقتطفات موثوق بصحتها من المؤلفين الهنود، ثم ينظرفي المسائل التى عالجوها ويقارنها بنظريات المسلمين واليونان والفرس معلقًا على هذا بملاحظاته الشخصية بشكل مستقل.

ويدل هذا الكتاب وكتاب الآثار الباقية علي سعة علم "البيروني" وإلمامه الدقيق بلغات الهند وتاريخها وثقافتها وفلسفتها الدينية، وقد أفاد بهذين الكتابين اللغة العربية، فأكسبها مرونة وطواعية فى التعبير عن حقائق التفكير الهندى.

خلاصة القول أن "البيرونى" كان مؤرخًا ثقة يمتاز بعقلية الفيلسوف وبصيرة العالم، وكانت غايته الكشف عن أخبار الأمم الغابرة حيث كان يدرس ما خلفوه لنا من علم أو دين أو أدب لازال حيًا فنيًا، كما أنه استبعد الخرافات عن منطق الأحداث التاريخية، وبحث عن عللها الخفية وكان يطالب العقل بتطهيره من المفاهيم السابقة والأحكام المباشرة للوصول إلي الحقيقة التاريخية[٣]، كما أنه كان يقوم بالتعرف علي حضارة الآخر مع احترام كامل لحضارة الغير، وعدم الإحساس بالنقص أمامها، ثم تمثلها ومقارنتها مع غيرها، والرد عليها بوضعها في إطار ثقافة الأنا، كما يقوم بالتعاطف المسبق مع الموضوع المقارن من أجل فهمه والغوص فيه، فالحضارة كلها علي مستوى واحد من الإحترام[٤].

---

[١]. ألدوميلي: العلم عند العرب، ص١٩٢.

[٢]. عبد الحليم محمود: الفلسفة الهندية مع مقارنة بفلسفة اليونان والتصوف الإسلامي (مع فصول من كتاب تحقيق ما للهند)، ص٨.

[٣]. محمد عبد الحميد الحمد: حياة البيرونى، ص١٩٠، ٢٧٩.

[٤]. حسن حنفى: من النقل إلى الإبداع، ج١، ص١٠٨.

"الگردیزي"

هو "أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود" (ت٤٤٢هـ / ١٠٥٠م)، عاش في بداية حياته في "غزنة" وتعلم على علماء عصره، وهو ممن أرخوا للدولة الغزنوية والذين كتبوا عن حوادث وسنوات سلاطين هذه الدولة، وصنف في ذلك كتاب "زين الأخبار" باللغة الفارسية تيمنًا بالسلطان "عبد الرشيد بن محمود" الملقب "بزين الدولة"، وهو مصدر هام بين المصادر التاريخية لكونه يحتوى على بعض المعلومات التى لم توجد فى مصدرغيره، تناول فيه تاريخ إيران من العصور القديمة حتي منتصف القرن الخامس الهجري، وأبرز في دراسته للعصرالغزنوي الأحداث السياسية التي وقعت في عصر السلاطين الأوائل، كذلك أشار إلي بعض النواحي الإدارية والحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر من قبيل الاحتفالات بالأعياد كالنوروز والمهرجان، ويذكر "الگردیزي" في حديثه عن هذه الوقائع التي وقعت في العهد الغزنوى أنه رآها رأي العين[١].

و"الگردیزى" مؤرخ أمين في تاريخه فمثلًا في القسم الخاص بالأعياد نجده يذكر في الجداول اسم العيد وعند الشرح والتفسير لا يجد أدنى حرج في أن يصرح ويقول: "ولم أجد شيئًا عنه فى الكتب "[٢]، وتعتمد كتاباته على كتاب السلامى "تاريخ خراسان" المفقود[٣].

أما قيمة الكتاب الأدبية، فهو كتاب رفيع من حيث أسلوب الكتابة الفارسية، فهو نثر في غاية السلاسة والرقة، ومن خصائص أسلوبه رعاية جانب الإيجاز، وذكر رؤوس الحوادث وتجنب الإسهاب والإطناب وعدم الدخول فى الجزئيات.

---

[١]. الكرديزى: زين الأخبار، ص٣: ٥. عبد السلام عبد العزيز فهمى: موضوعات النثر الفارسى، ص٩٢. Bosworth: The Later Ghaznanavids ,p٥٧.

[٢]. الكرديزى: المصدر نفسه، ص١٣.

[٣]. حسين مؤنس: موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين، دار مطابع المستقبل، (د.ت)، ص١٥٢.

"البيهقي"

هو"أبو الفضل محمد بن حسين البيهقى"(ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م)[١]، نشأ في مدينة "نيسابور" ودرس على أيدى العلماء و الفقهاء حتى نال منهم الثقافة فى شتى العلوم وخاصة علوم القرآن والحديث، كما ارتبط برجال العلم والأدب بروابط وثيقة، التحق "البيهقي" بالعمل في ديوان الرسائل كتلميذ لأبي نصر بن مشكان رئيس الديوان فى عصر السلطان "محمود" وابنه السلطان "مسعود"، وبعد وفاة أستاذه لم يرتق إلى منصب رئاسة ديوان الرسائل وذلك لصغر سنه، فلبث في منصبه كمعاون "لأبي سهل الزوزني"، وظل يعمل فى الديوان حتى أصبح رئيسًا له في عهد السلطان "عبد الرشيد" ثم اعتزل الحياة الإدارية بعد خروجه من السجن أيام السلطان "فرخزاد" وعكف في بيته علي القراءة والتأليف حتى وفاته[٢].

ومن أشهر كتبه ذلك الكتاب الذي ألفه عن تاريخ السلطان "مسعود" والذي أطلق عليه بعض المؤرخين "تاريخ المسعودي" أو "تاريخ البيهقي". وقد كتبه في ثلاثين جزءًا، غير أن الذي وصل منه إلينا شيء من الجزء الخامس والأجزاء السادس والسابع والثامن والتاسع بكاملها وبداية الجزء العاشر[٣].

بدأ البيهقى فى كتابة هذا التاريخ عام(٤٠٩هـ /١٠١٨م) وسجل فيه الوقائع التى وقعت منذ عهد سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية إلى عهد السلطان "إبراهيم"، أى خلال أكثر من قرن من الزمان، شاهد البيهقى بنفسه وقائع تسعة وثلاثين عامًا من هذه المدة وسمع بقية الوقائع من أساتذته ومعاصريه، وكان يسمى كل جزء من الكتاب باسم

---

[١]- John Perry: Iranian Nationality and the Persian Language,p٤٨.

[٢].البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٥.الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٣، ص١٧.استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٣٠٦.

Arberry: Classical Persian Literature ,p٢٤.

[٣].عبدالسلام عبد العزيز فهمى: موضوعات النثر الفارسى، ص١٠٠.

العصرالذى يتناوله فسمى الجزءالأول باسم "تاريخ ناصرى" والثاني "طبقات محمودى" والثالث "طبقات مسعودى "[١].

يعد هذا الكتاب أهم مرجع في تاريخ الدولة الغزنوية وخاصةً فترة حكم السلطان مسعود، الذي كان يناضل من أجل الإبقاء علي أملاكه في خراسان بعد الأحداث السياسية التى توالت علي الدولة نتيجة الصراع الذي وقع بينها وبين السلاجقة، ويحتوى الكتاب على معلومات قيمة حول الأوضاع العامة لتلك الفترة مثل التنظيمات العسكرية والإدارية والدواوين والفرق السياسية وطريقة استقبال ممثلى الدول المجاورة، وتنظيم الوثائق والمستندات السياسية والفصل بينهم، ومراسم الزواج بين الأمراء والشخصيات البارزة في تلك الفترة، ومسابقات الصيد بين الملك وحاشيته، ومراسم تتويج الملوك وارتداء الوزراء والأمراء الخلع، وكثير من القضايا والخصائص الاجتماعية والسياسية لتلك الفترة، والذى يقرأ هذا الكتاب فإنه يشعر بسعة اطلاع مؤلفه، وعمق ثقافته وإحاطته الكاملة باللغتين العربية والفارسية [٢].

وهذا الكتاب وضع له البيهقي منهجًا التزمه بدقة، وقد أقام هذا المنهج على ما يأتى:.

يعترف البيهقى أن أول خطوة فى كتابة التاريخ تتمثل في جمع المادة من أصولها، وتاريخه يكتسب أهمية من هذه الناحية، ذلك أن منصبه مكنه من أن يعتمد أساسًا على وثائق الدولة، يقول في ذلك:"ولم يكن أحد من الكتاب واقفًا على هذه الأحوال سوى أستاذى أبى نصر الذى كان يعد المسودة وأقوم بنسخها. وكانت هذه القاعدة طوال حياة أبي نصر فيما يختص بكتب ملوك الأطراف والخليفة وخانات تركستان وبكل ماهو هام من أعمال الديوان.....والشاهد العدل على ما قلت هو ما لدى من التقاويم، فكلها ناطق بهذه

---

[١]. حربى أمين سليمان: النثر الفارسى والتأثير العربى فى العصرين السامانى والغزنوى، ص٥٠. محمد السعيد جمال الدين: دراسات ومختارات فارسية، ص٦٠.

[٢]. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص٦٤. مرتضى راوندى: تاريخ اجتماعى إيران، جلد هشتم، بخش أول، ص٢٥. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٨٩١.

John Perry: Iranian Nationality and the Persian Language,p٤٩.

الأخبار"[١]. أما إذا أعوزه البحث إلي السماع، اشترط كالمحدثين أن يكون الرجل ثقة صادقًا يؤيده العقل، أو إلي كتاب وجب أن تكون أخباره علي صورة لا يردها العقل ويؤمن بها السامع ويستمع إليها العقلاء ويتقبلونها.كما أنه لا يقبل خبرًا إلا بعد تمحيصه، لذلك كان يهزأ من العامة الذين يميلون إلي قبول أباطيل مستحيلة كأخبار العفاريت والجن وغير ذلك من الخرافات[٢].

أما من الناحية الفنية الأسلوبية، فإن الكتاب يمثل أكثر من عصر، فمعظم المنقولات كتبت بأسلوب أصحابها مع الإشارة إليهم، وعمومًا فإن نثر الكتاب كتب بأسلوب سهل تغلب عليه صبغة النثر العربي من حيث تركيب الجمل وكثرة الألفاظ والعبارات والاقتباسات العربية، فالكتاب كان مرآة صادقة للأسلوب السائدة في عصر البيهقي، هذا الأسلوب الأدبي الرائع ساعد علي انتشار الكتاب، وسادت طريقة البيهقى فى الكتابة وأصبحت طابع النثر الفارسى فى الكتب التالية بشكل أوضح[٣].

مما سبق يتضح أن البيروني والبيهقي سبقًا الغرب بقرون عدة إلي ابتكار المنهج التاريخي ووضع أصوله، والأكثر من هذا أنهم لم يكونوا نظريين يضعون النظرية ولا يتمثلونها عمليًا كشأن غيرهم، بل زاوجوا بين إبتكارهم هذا المنهج وتطبيقه في تآليفهم بدقة، ولم تكن الوفرة هي التى تميزت بها الثقافة الإسلامية في القرن الرابع والخامس الهجريين، بل إن المنهج أيضًا قد وجد طريقة إليها، لهذا تكتسب هذه الفترة أهمية خاصة في تاريخ الثقافة الإسلامية فقد جمعت بين السعة والعمق على درجة لا تصادفنا فيما عداها[٤].

---

[١].البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦٠٥.

[٢].المصدر السابق، ص٧٣٢.

[٣].حربى أمين سليمان: النثر الفارسى والتأثير العربى فى العصرين السامانى والغزنوى، ص٥١. ذبيح الله صفا: تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنكى إيران، ص١٦٢.

[٤].علي الشابى:الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص٣٣٥.

ثالثًا: علم الجغرافيا[١]

احتوى القرآن الكريم على العديد من الآيات التى تشير إلي بعض الظواهر الجغرافية كذكر الجبال والأودية والأنهار والرياح والسحاب والأمطار، يقول تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُم وَأَنهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُم تَهتَدُونَ ﴾[٢] وقوله: ﴿ وَأَرسَلنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسقَينَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُم لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾[٣].

ويتضح من تلك الآيات دعوة القرآن الكريم للعقل الإنسانى للعمل والبحث والتعمق في دراسة الظواهر الجغرافية، والاستفادة منها وتسخيرها لخدمته، كما تدعوه إلى دراسة كل ما يحيط به من أجل التعرف على أسرار هذا الكون والنظام الدقيق له، والذى يجعل الإنسان يدرك عظمه الخالق وقدرته.

ذلك ما دفع المسلمين إلى دراسة الجغرافيا، بالإضافة إلي ذلك أن بعض العلوم تتطلب تعين خطوط الطول والعرض لكل موضع فى الأرض، ثم أن الرحلات التجارية التى قام بها المسلمون والأخبار التى عادوا بها كان لها تأثيرها فى إثارة اهتمام القوم للاطلاع على أسرار البلدان والشعوب الأخرى، كذلك ساهمت الرحلات العلمية التى قام بها الجغرافيون فى زيادة المعلومات الجغرافية، وصححت آراء خاطئة وأخطاء شائعة،

---

[١].يمكن تقسيم العلوم القديمة التى تهتم بدراسة الكرة الأرضية إلى علمين رئيسيين هما:علم دراسة سطح الكرة الأرضية (الجغرافيا)، وعلم دراسة باطن الكرة الأرضية (الجيولوجيا).أما بالنسبة لعلم الجغرافيا فهو علم يتعرف به علي أطوال وعروض البلدان الواقعة فيها وأطوالها وعدد مدنها وجبالها وبحارها وأنهارها.وكلمة جغرافيا كلمة يونانية معربة وتعنى علم تقويم البلدان أو علم وصف الأرض والمؤلفات التي ألفها المسلمون كانت تحمل عنوان البلدان أو المسالك والممالك. (كبرى زاده:مفتاح السعادة، ج١، ص٣٢٠.أحمد عطيه الله:القاموس الإسلامى، ج١، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٦١٥.أحمد فؤاد باشا:التراث العلمى للحضارة الإسلامية، ص١١٠.عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٣١)

[٢].النحل: (١٥)

[٣].الحجر: (٢٢)

واستطاع الجغرافيون أن يتقدموا خطوات عما وصل إليه الأقدمون، فاستطعوا أن يحددوا بدقة متناهية الموقع الجغرافى للبلدان الهامة بالنسبة لخطوط الطول ودوائرالعرض، كما قاموا بكتابة تقارير مفصلة فى وصف البلدان التي زاروها وبهذا بدأعلم الجغرافية يأخذ شكلًا علميًا [١].

وصلت الدراسات الجغرافية إلى قمة ما وصلت إليه الجغرافيا فى الفترة ما بين القرن الرابع الهجرى حتى نهاية القرن السادس الهجري، وقد حظى القرن الرابع وحده بأكبر عدد من المؤلفين فى الجغرافيا[٢]، الذين أصبحوا أقدر الناس على علم الجغرافيا بفضل أبحاثهم التى قامت على منهج علمى دقيق، يعتمد علي ما أرساه العلماء من قواعد تقوم علي أن الأرض مستديرة وأنها تشغل المركز الرئيسى للكون، وبفضل ما توفر من معلومات الرحالة الذين جابوا الدنيا في سبيل الحصول على جمع معلومات تتيح لمن بعدهم أن يدرسوا علم الجغرافيا على أسس وقواعد ثابتة.

وكما تحدثنا قبل ذلك من أن العلماء المسلمين قد اتبعوا أسلوب التجربة والبرهان في كافة بحوثهم وعلومهم، فإننا نرى أن معظم الجغرافيين المسلمين قد طبقوا الأسلوب ذاته وإلى أقصى حد فى أغلب المؤلفات الجغرافيا، فلم يكتف الجغرافى المسلم فى تأليفه على ماسمعه أونقله من الكتب الأخرى، بل أراد أن يطلع بنفسه علي كل شيء ليكشف الغامض ويصحح الخاطيء، الأمر الذى أعطى تلك المؤلفات أهمية خاصة، لاعتماد مؤلفيها علي المشاهدة والمعاينة الشخصية وتمحيص كل خبر أو رواية ورد ذكرها قبل التسليم بها، فالرحلة بالنسبة للجغرافى كالمعمل لأى علم تجريبى آخر[٣].

---

[١]. نقولا زيادة:الجغرافيا والرحلات عند العرب، ص١١.علي فهمى شتا:العالم الإسلامي، مجلة الدارة، العددان الثالث والرابع، ١٩٧٦م، ص٢٢٣.عبدالله المشوخى: موقف الإسلام والكنيسة من العلم، ص٨٢.

[٢]. ناصر محمد عبد الرحمن :الاتصال العلمى فى التراث الإسلامى، ص٧٤.

[٣]. رشيد الجميلى: حركة الترجمة، ص٤٣٦.

تميز الجغرافيون المسلمون بنظرتهم العلمية الواقعية لمختلف الموضوعات الجغرافية، مثال ذلك معالجتهم لتأثير الضوابط البيئية والعوامل الجغرافية علي حياة الناس وأفكارهم وسلوكهم، ومحاولة الربط بين البيئة والنشاط البشرى، مما جعل بعض الباحثين يشهد لهم بفضل السبق في تناول مبادىء الجغرافيا البشرية الحديثة[١].

أما أهم مميزات المصنفات الجغرافية فى تلك الفترة أنها كانت تجمع بين الجغرافية والتاريخ، أو ما يسمى بـ "الجغرافية التاريخية" الأمر الذي زاد من أهمية تلك المؤلفات في بيان أحوال البلدان وأهم خصائصها الجغرافية والتاريخية فى آن واحد.

بالإضافة إلى ما سبق فقد تفننوا في رسم الخرائط، والتى كانت فى ذلك الوقت في غاية الدقة والإتقان، حيث وضحوا عليها مواقع البلدان، وقد اعتمدوا في أول الأمر على التراث اليونانى، إلا أنهم سرعان ما اعتمدوا علي أنفسهم في رسم خرائطهم الجديدة معتمدين في ذلك على تجاربهم الخاصة ورحلاتهم وأسفارهم في هذا الميدان، الأمر الذى أعطى هذا القسم من أقسام الجغرافية عندهم طابعًا إسلاميًا صرفًا لا أثر فيه للنقل والترجمة [٢].

كما كان لهم دورًا كبيرًا فى تطور الجغرافية البحرية أو علوم البحار[٣]، حيث أدخلوا تطويرات مهمة على آلات الرصد المستخدمة فى الملاحة كالأسطرلاب وآلة الربع، وكانوا أول من استخدم البوصلة فى الملاحة فى أعالى البحار(والبوصلة اختراع صينى لكن الصنيين اقتصروا فى استخدامه على السير على اليابسة لا الملاحة البحرية)، كما رسموا

---

[١]. أحمد فؤاد باشا:التراث العلمى للحضارة الإسلامية، ص١١١.

[٢]. رشيد الجميلى:حركة الترجمة، ص٤٣٥.

[٣]. الجغرافيا البحرية: هى دراسة البحار وتجمع بين التطبيقات البحرية لعلوم الجغرافيا والجيولوجيا والكيمياء والأحياء، وتقتصر أحيانًا على دراسة طبوغرافية ورواسب أحواض المحيطات وسواحلها وأهمية الملاحة والمصايد والدراسات المناخية وغيرها. إبراهيم المسلم: إطلالة علي علوم الأوائل، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٦، ص١٤٢.

خرائط ملاحية على درجة عالية من الدقة أتاحت للبشرية أن تدخل عهد ارتياد أعالى البحار[١].

ومن أشهر جغرافي مدينة غزنة "البيرونى" والذى اهتم بالكتابات الجغرافية، فقد كان يرى أن المؤرخ يجب أن يكون ملمًا إلمامًا تامًا بعلم الجغرافية، حيث يعتقد أنه لا ينجح مؤرخ في تسجيل التاريخ تسجيلًا علميًا إلا إذا كان عالمًا جغرافيًا. وقد كان للعالم الجغرافي الفارسى "هاستونو"الدورالكبير فى تشجيعه على القيام بالرحلات الجغرافية إلى أماكن وبلدان مختلفة[٢].

يعد كتابه "صفة المعمورة " من أهم كتبه الجغرافية، لأنه أورد فيه ملخصًا نقديًا لكثير من المؤلفات الجغرافية المعروفة فى عصره، ولم يكتف بحساب الأمكنة الجغرافية لعدة مدن، بل قام بحساب خطوط الطول ودوائر العرض، وبذلك أنجز إحدى العمليات المساحية وحقق بعض وجوه التقدم النظرى بصفة عامة فى الجغرافية الطبيعية والبشرية [٣].

وله أيضا كتاب "تحقيق ما للهند "ونظرًا لأهمية هذا الكتاب فقد اعترف علماء الجغرافيا ودارسوها بتأثيره فى تقدم هذا العلم وتطوره حتى أن بعضهم أطلق على البيرونى بطليموس العرب، ويقدم البيرونى في كتابه هذا معلومات قيمة عن الجغرافيا البشرية والوصفية والرياضية والفلكية، وتحدث بإسهاب عن الهند الجغرافية من حيث الجبال والأنهار والسيول والمناخ والتضاريس والأمطار...[٤]، وقد قدم لنا تفسير علمى لسقوط الأمطار وفى ذلك يقول:" وأرض الهند تمطر مطر الحميم في الصيف....وكلما كانت البقعة

---

[١]. محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية، ص٣٢.

[٢]. محمد أبى الصلاح: البيرونى يسيح فى الهند، ص٣٧.

[٣]. إبراهيم المسلم: المرجع نفسه، ص١٤٨.

[٤]. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية، ص١١٨.عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، ص١١١

أشد إمعانًا فى الشمال وغير محجوبه بجبل، فهذا المطر فيها أغزر ومدته أطول وأكثر....."[١].

كما تناول الجزر الشرقية الموجودة في شرق الهند وهى جزر الذهب والغربية جزر "الزنج"و"الديجات" وقام بتفسير نشأة تلك الجزر، ويقول في ذلك:"حيث أنها تنشأ فتظهر من البحر قطعة رملية لا تزال تعلو وتنبسط وتنمو حتى تستحكم وأخرى منها علي الأيام تضعف وتذبل وتذوب حتى تغوص وتبيد، فإذا أحسن أهلها بذلك طلبوا جديدة متزايدة الطراوة فنقلوا إليها النارجيل والنخيل والزرع وانتقلوا إليها....."[٢].

وفي كتابه "تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن" يعد البيرونى أول من تطرق إلى وضع حساب المثلثات الكروية في خدمة الجغرافية الرياضية، وهذا الكتاب يشتمل على أشكال حساب المثلثات الكروية بخط البيرونى[٣]. وفى هذا الكتاب أشار إلى اتصال المحيط الهندى بالأطلنطى عندما وصف تضاريس الأرض ومسالك البحار والمحيطات، وتكلم لأول مرة على عكس ما كان شائعًا فى ذلك الوقت من أنه ليس ما يمنع من اتصال المحيط الهندي بالمحيط الأطلنطي، ويعتبر كشفه عن ألواح سفينة عربية قبل زمنه بثمانمائة عام أساسًا لاحتمال نظرى بوجود قنوات اتصال بينهما، ويبرهن على ذلك بقوله"أنه وجد فى البحر المحيط بإزاء اتصال بحر الشام به ألواح مراكب محزوزة (أى مثبتة بالحبال والخيوط)وإنما ذلك في بحر الهند لكثرة المغناطيس فيه دون بحر المغرب لأن المراكب به تسمر بالحديد ولاتخاط، ووجود ذلك فيه دليل وقوعه إليه من اتصال بينها "[٤].

---

[١].البيرونى: تحقيق ماللهند، ص١٤٩.

[٢].المصدر السابق والصفحة، ص١٤٩.

[٣] أيمن فؤاد السيد:الكتاب العربى المخطوط وعلم المخطوطات، ج٢، ص٣٩٤.

[٤] البيرونى: تحديد نهايات الأماكن، ص١٤٤.

بيد أنه كان من العسير عليه تأكيد هذه النظرية بسبب ارتفاع المد والجزر والرياح الشديدة، وقرر أن يدور حول سواحل أفريقيا الجنوبية لكنه لم يتمكن من ذلك [١].

كذلك اهتم "البيروني" بتفسير الكثير من الظواهر الجيومورولوجية (شكل الأرض وتضارسها)، وأشار إلي ظاهرتي "انغمار اليابسة بمياه البحر" و"انحسار مياه البحر" سواء في العصور السابقة علي وجود البشرية أو بعد ذلك، وأشار بصفة خاصة إلي أن "شبه الجزيرة العربية" كان يغمرها البحر قبل أن ينحسر تاركًا آثاره في طبقات الأرض وما تحتويه من أحجار وأصداف[٢]. وله كذلك كتاب "تهذيب الأقوال في تصحيح العروض والأطوال "وكتاب "إيضاح الأدلة علي كيفية سمت القبلة " ومقالة فى تعيين البلد من العرض والطول.وقد استطاع تسجيل ما يزيد علي ستمائة بلد ومكان، وصحح ما وقع فيه الأقدمون من أخطاء حيث أنه لاحظ اختلافًا فى اختيار مبدأ قياس خطوط الطول، فإن أهل الهند والصين وفارس بدأوا من جهة المشرق والمصريون القدماء والروم من جهة المغرب، ونتج عن ذلك أخطاء فى كثير من النتائج تفاداها البيرونى في جداوله بمقارنة المسافات وفروق الأطوال الناتجة [٣].

أما بالنسبة للخرائط [٤]، قام البيرونى برسم العديد منها، وكتب رسالة لكى تكون الأساس النظرى لصنع الخرائط الحديثة باسم "تسطيح الصور وتبطيح الكور"وقد حدد فيها الأهداف العامة لصنع الخرائط وهى:-

---

[١] إبراهيم المسلم: إطلالة على علوم الأوائل، ص١٤٨.

[٢] البيرونى: تحديد نهايات الأماكن، ص٤٣.

[٣] محمد غريب جودة:عباقرة علماء الحضارة العربية، ص١٥٧. أحمد فؤاد باشا:التراث العلمى للحضارة الإسلامية، ص١١٨.

[٤]. من الجدير بالذكر أن رسم مسقط الخريطة هو الشكل الناتج عن شبكة خطوط الطول والعرض التى ترسم على أساسها تلك الخريطة، والغرض من ذلك تمثيل سطح على الأرض على سطح مستو من الورق، وتكون المساقط تبعًا للأهداف التى يتوخاها واضع الخريطة، وأن تكون الاتجاهات والانحراف صحيحين كسمت القبلة التى توجه المحاريب في المساجد، وقد اختلف العلماء في وضع المساقط فالتباني

(١) معرفة صور الكواكب وهيئتها فى علم الفلك والتنجيم

(٢) معرفة وضع الأشياء على سطح الأرض، حيث توضع عليها الجبال والبحار والأنهار والطرق وذلك لإرشاد الرحالة والمسافرين والحملات العسكرية

(٣) معرفة المناخ والزراعة [١]

وفى كتابه "الآثار الباقية" وضح كيفية رسم الخرائط بأسلوب علمى دقيق، كما قام هو بعمل خريطة مستديرة للعالم فى كتابه "التفهيم" لبيان موضع البحار وتحديد مواقعها بالنسبة لليابسة[٢].

خلاصة ما سبق أنه بينما كان العلماء فى الغرب عاكفين خلف أسوار أديرتهم يبحثون عن علوم الأوائل فى الكتب، كان العلماء والرحالة يجوبون الأرض شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا يبحثون ويدونون مشاهداتهم ويحددون بدقة متناهية المواقع الجغرافية للبلدان وأهميتها ونسبتها إلى خطوط الطول والعرض، مما كان له عظيم الأثر ليس على إثراء المكتبة العربية فحسب، وإنما بالمعلومات الدقيقة كما فعل البيرونى حينما أعطى الجغرافيا الطبيعية والجيولوجية أمثلة صحيحة عن الجبال وطبقات الصخور أصبحت صالحة لكل زمان ومكان.

اعتمد علي المساقط السمتية فى حين اتبع البيرونى المساقط المخروطية. محمد عبد الحميد الحمد: حياة البيرونى، ص٢٢١.

[١]. المرجع نفسه والصفحة.

[٢]. بركات محمد مراد: البيرونى فيلسوفًا، ص١١٦.

رابعًا: علم الفلسفة [١]

أظهر المفكرون المسلمون منذ الأيام الأولى شغفًا كبيرًا باكتشاف وسبر أغوار الميراث الثقافى الذى وقعوا عليه فى المناطق غير الإسلامية المفتوحة، فقد كانت هناك قبل كل شىء كنوز من الكتابات الفلسفية فى تلك المناطق تمثل أسس النظم القديمة فى الفكر، وأهمها ما وجد فى الهند وبلاد فارس وفى التراث اليونانى القديم.

لذلك فإن الأساس الذى قامت عليه الفلسفة الإسلامية مأخوذ من اليونانية بعد تعديله ليوافق تعاليم الإسلام، وقد اعتبر المسلمون أن تعاليم أرسطوطاليس[٢] تمثل الفلسفة اليونانية، وقد اجتهد فلاسفة الإسلام فى التوفيق بين الفلسفة اليونانية والدين الإسلامى، وكان بداية تفلسف المسلمين فى مجال العقائد الإسلامية والأخلاق ثم الأحكام الشرعية ثم انتقل المسلمون من طورالتفلسف الدينى إلى طورالتفلسف الخالص، ويمكننا أن نميز فى الفكر الفلسفي الإسلامي بين نوعين من الفكرالفلسفى: في مجال الشرعيات، ويتجلى فى العلوم الشرعية (علوم الكلام وأصول الفقة والتصوف)، والفكر الفلسفى الخالص الذى نجده عند فلاسفة الإسلام الخالص[٣].

---

[١]. الفلسفة: مشتقة من الكلمة اليونانية فيلاسوفيا وتفسيرها محبة الحكمة، فلم عربت قيل فيلسوف ثم اشتقت الفلسفة منه، ومعنى الفلسفة علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح، أو كما عرفها كبار الفلاسفة أمثال الفارابي وابن سينا أنها البحث عن الموجود من حيث هو موجود بقدر الطاقة البشرية.(الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص١٣١.عمر فروخ: تاريخ الفكر العربى، ص١٩.عبدالله نعمة: فلاسفة الشيعة، بيروت، ١٩٣٠م، ص١٧)

[٢]. أرسطوطاليس(٣٨٤.٣٢٢ق.م):هو أرسطوطاليس بن نيقوماخس بن ماخاون بن أسقلبيادس وهو الذى اخترع الطب لليونانيين ويقال أنه قد نظر في الفلسفة بعد أن أتى عليه من عمره ثلاثون سنة، وكان من أجل علماء اليونان في الفلسفة. رشيد الجميلى: حركة الترجمة، ص٣٦.

[٣].أحمد رمضان أحمد:حضارة الدولة العباسية، الجهاز المركزى للكتب الجامعية، ١٩٧٨م، ص١٦٠.

Henry Corbin: History of Islamic Philosophy,Journal of Islamic Studies ,vol.٦,no.١, ١٩٩٥ ,p١٠٦.

تعتبر الفلسفة الخالصة طورًا ثانيًا من أطوار الفكر الفلسفى عند المسلمين والذى ساعد على ذلك حركة الترجمة، حيث لم يكن للمسلمين عهد بالفلسفة قبل ظهور الترجمات، فلما نقلت علوم اليونان إلى اللغة العربية واطلع عليها العلماء تأثروا بها، وانصرف فريق منهم إلى دراستها والتأليف فيها معتمدين على منطق أرسطو[١]. ومفاخرين بأنهم فهموا المعلم الأول زاعمين وهم يشرحون أفلاطون [٢] أنهم شرحوا علم كبير الفلاسفة فبقى إنتاجهم يشف عن مصادره[٣]. بذلك نرى أن الترجمة كان لها دورًا وتأثيرًا فعالًا وعميقًا فى مجرى التفكير وفى خلق انقلابًا ثقافيًا فى ذلك العصر تردد صداه فى الشرق والغرب.

كما كان لظهور الفرق الإسلامية المختلفة الأثر الكبير في ازدهار ترجمة المصنفات الفلسفية اليونانية، حيث عملت كل فرقة على تدعيم آراءها وأفكارها والعمل علي دحض آراء وأفكار الفرق الأخرى، الأمر الذى ترتب عليه شدة إقبال المسلمين على طلب الكتب الفلسفية، كذلك كانوا في دفاعهم عن الإسلام ضد اليهودية والنصرانية اللذين تسلحًا من قبل بالفلسفة اليونانية، فأحس المسلمون أنه لا بد من محاربتهم بآلاتهم فعكفوا علي الفلسفة يستخدمونها فى الدفاع عن عقيدتهم، وفيما هم كذلك شعروا بمتعة دراسة

---

[١]. أرسطو: هو المعلم الأول ولد فى شمال اليونان عام (٣٨٤ق.م) وتوفى عام(٣٢٢ق.م)، درس على أفلاطون ثم تركه كى يرعى الإسكندر الأكبر فى طفولته وشبابه ثم عاد إلى أثينا بعد ذلك، وكان أرسطو قد عالج الفلسفة ولكنه ظل فى قراره نفسه عالمًا تجريبيًا قوى الملاحظة خصوصًا فى علوم البيولوجيا والطبيعيات، وهو واضع أساس علم المنطق وبسببه لقب بالمعلم الأول.حسين مؤنس:موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين، ص١٤.

[٢]. أفلاطون (٤٢٧ ق.م: ٣٤٧ ق.م): ولد بأثينا وتتلمذ سنوات على سقراط ثم غادر أثينا بعد أن أجبر سقراط علي الموت بالسم، ثم عاد بعد ذلك، وقد اعتبر أفلاطون منذ أقدم العصور رمز الفيلسوف الحق، وكانت شهرته ذائعة وتعاليمه مقبولة فى العالمين القديم والحديث.حسين مؤنس:المرجع نفسه والصفحة.

[٣]. عبده الشمالى: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها، ص٢٠٢. محمد عادل عبد العزيز:الحضارة الإسلامية، ص٢٠٤.

الفلسفة، فبعد أن كانت تطلب على أنها وسيلة للدفاع عن الدين أصبحت غاية في نفسها تطلب لذاتها[١].

وخلال القرن الرابع الهجرى عرفت الفلسفة نوعًا من الازدهار كان أوسع مما عرفته قبل ذلك، وربما يرجع السبب فى ذلك لانتشار المناظرات، حيث كان النشاط الفلسفى فى القرن الرابع الهجرى يمارس أساسًا في تلك الندوات العلمية بعيدًا عن مجالس السلطة والسياسة[٢]. كما كان انتشار المذهب الحنفى عاملًا من عوامل تقدم الفلسفة عند المسلمين، فهو مذهب يحكم العقل فى المشكلات الدينية [٣].

وبالرغم من انتشار الفلسفة فى تلك الفترة إلا أنه انتابها أزمة خطيرة في زمن السلطان "محمود" أوشكت أن تقضى عليها، فقد قام السلطان باضطهاد الفلاسفة في جميع أنحاء دولته وبدأ في تعقبهم وكان ذلك متممًا لسياسته فى تعقب القرامطة، والدليل علي ذلك قتله لـ"عبد الصمد الحكيم" أستاذ "البيرونى" واتهامه بالقرمطة، لأنه كان مثقفًا ثقافة فلسفية حكمية[٤]. كذلك كانوا هدفًا لاضطهاد الفقهاء يكفرونهم، بل أن بعض الشعراء عد الفلسفة علمًا معطلًا والفيلسوف ضالًا [٥] ومن هؤلاء "البستى" وقوله عن الفلسفة:.

---

[١]. ريسلر:الحضارة العربية، ص٢١٢. رشيد الجميلى: المرجع نفسه، ص٥٧.

[٢]. حسين الصديق: المناظرات في الأدب العربى الإسلامى، ص١٣١.

[٣]. مصطفى جواد: الثقافة العقلية والحال الاجتماعية فى عصر الرئيس أبى على بن سينا، ص٥١١.

[٤]. محمد محمدى: الأدب الفارسى، ص١٦٣. على الشابى:الأدب الفارسي في العصر الغزنوى، ص٢٦٦.

[٥]. قاسم غنى: تاريخ التصوف في الإسلام، ص٦٧٩. (من المعروف أن الفلسفة جاءتنا عن اليونان ولم يكن لليونان عندما أورثونا فلسفتهم علم بالديانات، لهذا كان الإيمان اليقينى الثابت في القرون الوسطى يقوم دائمًا على التوفيق بين الفلسفة والدين، أى بين التسليم بحقائق الوحى وحقائق العقل الفلسفى ولكن بعض علماء الدين ممن ضاق أفق تفكيرهم كانوا يزعمون أن البحث فى الفلسفة وعلومها يؤدى إلى الإلحاد واتهموا جميع الفلاسفة بذلك، هؤلاء الفلاسفة أدركوا أن الحق واحد لأن الإيمان بحقائق الوحى الأمين مسألة يمكن التدليل عليها بالمنطق العقلى، وأنه لاخلاف بين الحق فى نظر الدين، والحق في نظر الفلسفة، ولم يكن هناك تعارض في نظرهم بين الفلسفة وبين الحقائق الدينية التى جاءت بها التوارة

خف الله وأطلب هدى دينه وبعدهما فاطلب الفلسفة

لئلا يغرك قوم رضـــــوا من الدين بالزور والفلسفة[١]

ولكن مثل هذه الآراء لم تثن علماء الإسلام ومفكريه عن العمل من أجل تقدم الفكر، فقد تعلموا ثم أضافوا إضافات باهرة، فكان أن فتحت الترجمة أمام العقل العربى والفارسى آفاق الحياة، وبفضلها نبغ علماء وفلاسفة كبار أثروا الفكر الإنسانى وكانوا بمثابة معلمى البشرية.

أما أهم سمات الفلسفة الإسلامية أن القاسم الأعظم منها كان عبارة عن تفسير فلسفة اليونان خاصةً فلسفة أرسطو وأفلاطون، كما تضمنت موضوعات من فلسفة الهند وإيران والتعاليم الإسلامية، علاوة على أن الفلسفة الإسلامية كانت دائمًا خاضعة للتعاليم الإسلامية وهدفها إثبات وجود الله وإيجاد الطريق المؤدى إليه. ومن السمات الأخرى للفلسفة الإسلامية اهتمامها الخاص بالعلوم الطبيعية والكيمياء والطب، ويشكل الطب عنصرًا مهمًا فى الفلسفة إلى درجة أنه يبدو كأنه جزء لا ينفصل عنها، ولهذا السبب نجد أن أعظم الفلاسفة المسلمين كانوا فلاسفة وأطباء فى نفس الوقت[٢]، كذلك كان لها تأثيرًا ظاهرًا في النثر والشعر فكانت الحكم الفلسفية قد عرفت إلى الشعر طريقًا ويظهر ذلك فى الكثير من كتابات بعض الشعراء[٣].

تميزت الفلسفة أيضًا بأن موضوعها كان أوسع من موضوع الفلسفة اليوم، فقد كانت تشمل المنطق والطبيعيات والكيميائيات والإلهيات والرياضيات والنفس والاجتماع،

والقرآن الكريم، وإذا كان ثمة خلاف أو تناقض بين الحقائق الدينية والحقائق الفلسفية فمرجع هذا التناقض هو سوء الفهم وعدم الإدراك الصحيح).

[١]. الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٤، ص٣٥٨.

[٢]. مهرداد مهرين: فلسفة الشرق، ترجمة محمود علاوى، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م، ص٤٣٦.

[٣]. عبده الشمالى: دراسات فى تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها، ص٢٩٠.

ولكن مع توالى العصور بدأت علوم كثيرة تنفصل عن الفلسفة وتستقل عنها كالمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع [١].

ومن أشهر فلاسفة غزنة "ابن الخمار" والذى كان له مكانة متميزة فى الفكر الفلسفى، حيث نالت الدراسات الفلسفية اهتمامًا خاصًا منه[٢]، ويرى"ابن الخمار" أن الفلسفة نشأت عند اليونان عكس الفارابى الذى يرى أن الفلسفة نشأت فى الحضارات الشرقية لدى البابليين أو الهنود أو المصريين القدماء ثم انتقلت إلى بلاد اليونان، وهو من أنصار أن هناك اهتمامًا ملحوظًا يبحث هذه المسألة على كافة المستويات. ولابن الخمار رسالة كتابها فى مسألة العلاقة بين الدين والفلسفة وسماها "كتاب الوفاق بين رأى الفلاسفة والنصارى"[٣].

ومن أهم كتبه فى الفلسفة:.

(١) كتاب سيرة الفيلسوف

(٢) كتاب اللبس فى الكتب الأربعة فى المنطق

(٣) كتاب الصديق والصداقة

(٤) كتاب فى الأخلاق

(٥) كتاب تدبير المشايخ

(٦) مقالة فى السعادة، مقالة فى الإفصاح عن رأى القدماء فى البارى تعالى وفى الشرائع[٤]

---

[١]. رشيد الجميلى: حركة الترجمة، ص١١٤.

[٢]. استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٣٥١.

[٣]. إبراهيم تركى: ابن الخمار فيلوسف من القرن الرابع الهجرى، ص١٢٨، ١٣٥.

[٤]. محمد فتحي عبد الله: مترجمو وشراح أرسطو عبر العصور، ص١٧٢، ١٧٣.

بالإضافة إلى العديد من الكتب التى قام بترجمتها، وتكمن الأهمية هنا فى كونها استطاعت أن تنقل مؤلفات أرسطو وأفلاطون عن طريق الترجمة العربية إلى أوربا، كما مكنت الأوربيين من الاطلاع على أعمال الفلاسفة المسلمين والخروج من ظلمة القرون الوسطى إلى عالم العلم والتمدن.

اهتم البيرونى كذلك بعلم الفلسفة التي كشفت له غوامض كثيرة ".... فجعل لها حظًا من عنايته لأنه يعدها ظاهرة من ظواهر المدينة " وفي رأيه أن مطالب الحياة تستلزم إيجاد فلسفة عملية تساعد الإنسان في تصريف الأمور وتميز الخير من الشر والعدو من الصديق"[١].

ولا ريب فإن عالمًا كالبيروني يرحل عدة مرات إلي الهند ويقيم في هذه البلاد سنوات طويلة، يدرس خلالها لغة أهل البلاد دراسة علمية عميقة، لقادر على أن يتمكن من دراسة علوم الهند وأديانها ونحلهم المختلفة وتاريخهم، وقد اكسبته هذه الدراسات شهرة فى تاريخ المشرق باعتباره العالم الفذ الذى ترجم إلى اللغة العربية الثقافة الهندية ترجمة دقيقة، ومما ينفرد به بين علماء وفلاسفة المسلمين أنه يكاد يكون العالم الوحيد الذى درس الفلسفة بلغة أهلها أما غيره من العلماء فقد درسوها مترجمة إلى اللغة العربية.

نقل البيرونى إلي العربية من الآثار الفلسفية الهندية كتاب "سنك" فى المبادئ وصفة الموجودات[٢]. وألف فى كليات المسائل العلمية "مقالة فى أسباب السخونة الموجودة في العالم واختلاف فصول السنة[٣].وكان بتعرفه الدقيق على أصول الحكمة الهندية مباشرة في وطنها وبلغتها وعلى أيدى أساتذتها الكبار أقدر عالم استطاع أن يودع هذه النفائس العلمية كتبه القيمة.

---

[١]ـ البيرونى: تحقيق ما للهند، ص١٨. قدرى طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، ص٣١٤.

[٢].البيرونى: تحقيق ما للهند، ص١٨.

[٣].البيرونى: الآثار الباقية، ص٤٤. التوانسى: أبو الريحان البيرونى، ص٣٩.

وللبيرونى محادثات و مراسلات قيمة مع ابن سينا[١]، تشهد تلك المراسلات أنه كان فيلسوفًا متمكنًا حيث أجرى فيها مقارنات بين المذاهب الفلسفية والصوفية عند الهنود والمسيحيين والمسلمين، وقد اختصم الرجلان ولكن يبدو أن الخصومة كانت سياسية أكثر منها خصومة علمية[٢].

كان البيرونى في فلسفته يدعوا لكرامة الإنسان وإلى تطوره العقلى عن طريق المعرفة الحسية، لأن العقل الإنسانى فيه مقولات فطرية كامنة كالسببية والزمان والمكان، وظلت غاية الفلسفة عنده الخلاص الإنسانى للتواصل إلى السعادة العظمى بالإتحاد بالبارى سبحانه[٣]، وقد كان البيرونى في فلسفته أبيقوريا يفضل اللذات العقلية علي اللذات الحسية، من أجل هذا أعجب بفلسفة مانى(٢١٦ ـ ٢٧٦م)الذى دعا إلى عدم الحرص على اقتناء المال والابتعاد عن الشهوات ونكاح النساء والزهد في الدنيا، وبعد أن تعرف على المانية عن قرب وعرف مبادئهم ابتعد عنهم واستمر إعجابه بأبيقور، كما كان يرجع كثيرًا إلي كتاب "محاورة فيدون" لأفلاطون في تأكيده علي التناسخ والحشر والمعاد معتمدًا على أسلوب التمويه عن طريق ذكر الحكاية، وذلك لأنه كتب كتبه فى وسط سنى متعصب[٤].

وبالاطلاع علي كتابه تحقيق ما للهند سوف نلاحظ ميل البيروني إلي الفلسفة وتركيزه علي العقائد، ولعل ذلك ربما يرجع إلي غلبة التفلسف والتأمل علي معظم أهل الهند وقوة الاعتقاد في نفوسهم، وسيطرة الفكر علي سلوكهم، ولا يكاد يصدر من أى شخص سلوك

---

[١]. ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج٣، ص٣٠. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٣٤٢. بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٧٨.

[٢]. جورج طرابيشتى: معجم الفلاسفة، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٧، ص ٩٨. فتح الله خليف: فلاسفة الإسلام، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٦م، ص١٢. بركات مراد: البيرونى فيلوسفًا، ص٢٥.

[٣]. محمد عبد الحميد الحمد: حياة البيروني، ص٢٧٩.

[٤]. المرجع نفسه، ص٣٧، ٢٣٦.

ما إلا وهو نابع من فكرة أو فلسفة أو اعتقاد أو اتباع لدعوة دينية، وهم يقدرون الرأى الدينى ويحترمون الفكر ويسرفون فى الالتزام به[١].

ومما سبق يتبين أن البيروني لم يتخذ الفلسفة هدفًا لبحوثه، ولم ينتمي لأي مدرسة من المدارس الفلسفية القائمة في ذلك العصر، ولكن اتخذ الفلسفة وسيلة للوصول إلي الحقائق التي ينشدها من مختلف العلوم التي تخصص فيها.

هكذا تمكن الفلاسفة المسلمون بناءً علي ما أُحضر لهم من تراث قديم أن يكونوا لأنفسهم فلسفة خاصة بهم تنسجم وروح دينهم، حتي أصبحوا مستقلين في ذلك تمامًا بفضل جهود الفلاسفة المسلمين فهم الذين طبعوا الفلسفة الإسلامية بطابعها الجديد الخاص بها.

الخلاصة أنه فى هذا الجو العلمى نشأ عدد من العلماء يعتبرون من أعظم العلماء فى أى عصر، كانت اللغة العربية لغتهم التى يكتبون بها، كما أنهم استحقوا ثناء الأمة لأنهم وضعوا قواعد اللغة والأدب والتاريخ والشعر والنثر، والذى قاد الكثير من العلماء من بعدهم إلى البحث والتنقيب، وبالنسبة للأدب الفارسى فلم يمض زمن طويل حتى بلغت اللغة الفارسية أوج ازدهارها، وظهر فى تلك الحقبة مئات من الشعراء والكتاب والعلماء خلفوا آثارًا رائعة فى تلك اللغة، يكفى أن نذكر منهم فى الشعر العنصرى، الفرخى، المنوجهرى، الفردوسى. وفى النثر البيرونى، الكرديزى، البيهقى، عنصر المعالى وغيرهم.

---

[١]. فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص٣٠١.